عزف منفرد

رواية

مها الشاعر

اسم الكتاب	:	عزف منفرد
المؤلف	:	مها الشاعر
النوع	:	رواية
رقم الإيداع	:	2022/25909
الرقم الدولي	:	978-977-86352-9-4

2+01068638377

2+012044605077

جميع الحقوق محفوظة الناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية،

أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

الأنثى هي السر

تم أختيار جينا فؤاد للأداء مع سيف عيسي.

جملة قالها مدير المعهد الموسيقي في وجود المجموعة العازفة التي تعمل معه

قال المدير:

- جينا مجتهدة. أثبتت كفاءة منقطعة النظير في فترة قصيرة. تدربت لفترات طويلة تحت الضغط. ولم تتذمر أو تشتكي من الضغط المستمر. أما سيف فمعروف أنه بطل الأداء لنا منذ سنتين ولم يظهر أحد حتي الآن لينافسه علي ذلك . أتمني أن تشجعوا جينا في أول تجربة أداء أمام الجمهور. لا تنسي يا شادن أن تفعلي معها كما فعلنا معك في أول تجربة أداء. ساندوا بعضكم حتي تفتح لكم دار الأوبرا أبوابها وتجدون شركات الانتاج الفني تلهث ورائكم لموهبتكم.

وقفت شادن تمسح عرقها وبجانبها صف من زميلات المعهد الموسيقي كانوا دائما يعزفون خلفها قالت أحداهن:

- سنفتقدك يا شادن. كنا تأقلمنا عليكي.

قالت شادن وهي تحاول بذل مجهود كبير للتحكم بغضبها:

- جينا تستحق. أنا من تكاسل عن التدريب وأعتقد غروري أني سأنجح وتناسيت أن الاجتهاد والتدريب المستمر هو سر النجاح.

خرجت من قاعة العرض في طريقها الي المنزل تقابلت مع سيف قالت له:

- ملك العرض. مبروك تم أختيار جينا للأداء معك بدلا مني.

قال سيف:

- صراحة. هي تستحق.

قالت شادن ساخرة:

- معك حق. بحكم الأقدمية والأكبر سنا هي تستحق.

ألقت الجملة ومشت من أمامه بغضب واضح فتحت الأسانسير ذهب ورائها قبل أن تذهب وتغلق باب الأسانسير وقال لها:

- هي تستحق لأنها تدربت وأجتهدت واذا كنا سنتعامل بالسن فيجب أن أحضر لكي كل يوم شيكولاتة وشيبسي وكولا ومصاصة ونعاملك علي أنك طفلة هل هذا يرضيكي؟

كان ردها أن أغلقت باب الأسانسير في وجهه. وزاد غضبها.

عادت الي منزلها جلست بغرفتها تغلي من الغضب. المعهد قبلها رغم أنها أكبر منا سنا بخمس سنوات. أين كانت تدرس طوال تلك المدة؟ أين كانت تعيش؟ من أين ظهرت لنا تلك الفتاة التي قلبت الأمور وأستولت علي مكاني أمام البطل؟ فتحت دولابها مررت يدها بلطف علي الفستان الأسود الذي أشترته خصيصا لتلك الليلة. التي فسدت. ظلت تتأمل الفستان وازداد غضبها مع كل نظرة تأمل. أغلقت الدولاب. من أين جاءت وأين كانت. أريدها أن تعود للمكان الذي أتت منه.

(ع)

تقفين أمام نفسك. تكتشفين نفسك. أنظري الي نفسك. قومي من نومك. أنتي قوية بما يكفي. نظرت لنفسها متشككة وما هي القوة من وجهة نظرك حتي تنسبيها لنفسك؟ ردت علي نفسها التي تواجهها وما هو التعريف المطلق للقوة حتي تعتقدين أنك منسوبة لها؟ مجرد موقف عصيب تمرين به تصبحين قوية؟ أنتي مخطئة. القوة الحقيقية هي أن تخرجي من الكارثة بأقل خسائر وهذا لم يحدث. أعترفي أن خسائرك فاقت كل الحدود فلا تحتكين بالقوة وأتركيها لمن يعرفها حق المعرفة. قومي يا جينا فأنتي لست قوية

قامت من نومها مفزوعة.. الهاتف يرن. لا ترد عندما تكون مضطربة

ظل مدير المعهد يرن حتي يخبرها بأنه تم أختيارها للأداء لكنها لم ترد وأكملت نومها. لست قوية.

جلست شادن أمام الكمبيوتر لعمل بحث عن طلاب المعهد من خلال صفحة الفيس الخاصة بالمعهد أكتشفت أن جينا لم يكن لديها صفحة.

تعجبت. تحدثت مع زميلتها في المعهد تسمي زيزي وسألتها عن جينا قالت: لا تعرف الكثير عنها سوي أن منزلها في الدقي وتعيش وحدها.

سألتها شادن اذا كان لها أهل فقالت زيزي : أنها لا تعلم ولكن الأكيد أنها تعيش وحدها.

ثم سألتها زيزي: لماذا كل هذا الاهتمام؟ ماذا تريدين منها؟ هل أصبحت تشغل بالك لأنها تفوقت عليكي؟

أغلقت شادن الكمبيوتر بعصبية كما فعلت مع سيف. أغبياء. طبيعي أن أغضب لأنها أخذت مكاني. ماذا يتوقعون مني. من أين أتت هذه الفتاة. لا توجد صفحة فيس ولا عنوان معروف ولا أهل غامضة.

ظل مدير المعهد يرن علي جينا و هي لا تجيب.. أين ذهبت تلك الفتاة؟

ذهب لسيف وسأله اذا كان يعرف مكان اقامة جينا فقال: تقريبا في الدقي لكن أين بالتحديد لا أعلم. لم أذهب لها مطلقا فقال المدير : لا ترد علي الهاتف أشعر ببعض القلق تجاهها.

توجه سيف لزيزي يسألها عن عنوان جينا فقالت. لا أعلم بالتحديد.. أعرف عنوانها بالشبه.

قال سيف: اذن. تعالي معي نذهب لها سويا فالمدير يقول أنها لا ترد علي الهاتف منذ أمس وتعيش وحدها وهو يشعر بقلق.

ذهبا الي منطقة الدقي وظلت زيزي تراقب الأبنية ثم قالت: أعتقد أنه ذلك المنزل.

رن جرس الباب. لا أحد يفتح. نظر سيف حوله وقال لزيزي: لا توجد يافطة حتي تدلنا اذا كان هذا أم لا. وظل واضعا أصبعه علي الجرس. قامت جينا منزعجة وفتحت الباب. ماذا حدث؟

قالت زيزي: أين كنتي؟ مدير المعهد يبحث عنك.

قالت: لماذا؟

قال سيف: تم أختيارك لتجربة الأداء معي.

غمزتها زيزي هامسة: بدلا من شادن.

توترت جينا وقالت: ماذا يعني ذلك؟ سأقف أمام جمهور؟ لا. لن أستطيع.

نظرت زيزي لسيف ثم قاموا بالقاء علامات استفهامهم علي جينا: ماذا يعني ذلك؟ لماذا دخلت المعهد اذن طالما انك لا تستطيعين الوقوف أمام جمهور؟

سألتها زيزي: جينا ما مشكلتك؟

قالت: أخاف من المواجهة

لنفسها : ستراني وجوه كثيرة. ستتعرف علي وجوه جديدة. لن يفلح أختبائك هذه المرة جينا. ستطفو كل كوارثك علي السطح مرة أخري اذا وقفت أمام جمهور ولكنك أخترت العزف علي جسد الكمان والطبيعي أن يحدث التقارب بينك وبين جسد الكمان أمام الجمهور. لقد أغرقت نفسك في التدريبات حتي تنسي همومك يبدو أن أغراقك في التدريبات أنعكس بالسلب علي أمنياتك في الاستمتاع بالعزف لتخفيف أوجاعك وأصبح لزاما عليك أن تظهري نتيجة تدريباتك للعلن.

قالت بعد شرودها: لن أستطيع.

قالت زيزي: لقد أجتهدت كثيرا في الفترة الأخيرة وهذه ثمرة أجتهادك.. لماذا ترفضين؟ الجميع يتمني ذلك.

فال سيف الذي كان واضحا أنه يقف في صف شادن: أول مواجهة مع الجمهور تكون لها رهبة ولكنها تمر. أما اذا كنت لن تستطيعي فمن الممكن أن تخبري المدير بذلك وتؤدي شادن مكانك.

قاطعته زيزي: لا هي خائفة فقط لن يأخذ مكانك أحد هيا أرتدي ملابسك وسنذهب لشراء فستان مناسب لحفلتك.

حسنا. سأذهب لمدير المعهد غدا وأتحدث معه. ربما شادن هي الأنسب.. أنا غير مستعدة.

قامت زيزي مع سيف وخرجا من منزل جينا قالت زيزي لسيف: لا تتعجل وتخبر شادن فأنا متأكدة أن المدير سيصمم علي جينا.

ومن قال أني أتصل بشادن أنا أحدث مدير المعهد لأطمئنه علي جينا وأعلم جيدا أنه لن يغير قراره ويحضر شادن مكان جينا.

قالت زيزي باصرار: أحب ذلك الاصرار لكل مجتهد نصيب هكذا علمونا.

- آراك متحمسة جدا لجينا؟

وآراك متحمس جدا لشادن

- لست متحمس بقدر تعودي عليها.

(ز)

المجيب الآلي. آلو.ماما ماما. أفتقدك أنا بخير. لا ترهقي نفسك لكي تأتي الي لندن فأنا قررت أن أقضي أجازتي مع أصدقائي سنسافر الي فيينا في برنامج سياحي رائع. لا تغضبي مني يا أمي لأن هذه ثاني أجازة أمنعك من أن تأتي لي من القاهرة وأعدك أن آراك لاحقا. أبنتك جينا.

أرسلت الأم مبلغ كبير من الاسترليني عن طريق البنك لابنتها جينا لتغطي مصاريف دراستها ورحلتها الصيفية.

وضعت جينا رأسها علي الوسادة. رأته في منامها. مرة أخرى. يقف في وجهها ويخبرها أنه كان يتمني أن يرزقه الله بذكر. يكرهني.. أبي يكرهني كان يتمني أن تتحول بذرة جماعه مع والدتي الي ذكر ولكن كنت أنا جينا.. كنت أتمني أن تكوني ذكر. أريد ذكر يحمل أسمي لابد أن تثبتي أنك أكثر منفعة من الذكر الذي كنت أتمناه. لابد أن تثبتي قوة.. أظهري قوة يا جينا حتي أفتخر بأنك أبنتي. أنتي مجرد شئ أنثوي لين ضعيف مهما حاولت من أظهار للقوة فهي خداع أنا أريد ذكر.. أثبتي لي يا جينا أنك تستحقين الحياة بدلا من أي ذكر آخر. ثم يتوالي أندفاعها في الحلم تجري من والدها. هو يلاحقها. يريد أن يقتل ضعفها. يريد أن يخرج الذكر من نتاج البذرة التي يرفضها.. أجري يا جينا وأعترفي أنك لست قوية حتي تثبتي له أي شئ. أخر جزء من الحلم تصرخ في الهاتف وتقول لوالدها : تبا لك وللذكر الذي تريده وقعت السماعة داخل الكابينة هي تهرب هي تجري صوته يخرج من السماعة المتدلية في الكابينة يلاحقها . تذكرت أنها عادت من لندن الي القاهرة بالشبشب.

أستيقظت من نومها صارخة نظرت حولها تأكدت أنها ليست في لندن. لقد عدت. أنا بأمان الآن.

ضمت ذراعها حول ركبتها. رن الهاتف : لقد أرسلت والدتك مبلغ من المال بعد أن سمعت التسجيل بأنك ستذهبين في رحلة لفيينا شعرت بضيق لأنك رفضت رؤيتها للمرة الثانية. لم تشك في شئ. المبلغ سنقسمه مناصفة بيننا. وداعا جينا.

في صباح اليوم التالي أستيقظت بعناء شديد . الدواء المهدىء يجعلها تنام كثيرا . رأسها ثقيل . يؤلمها بشدة . دخلت الي مدير المعهد بعد أن طرقت الباب مرحبا جينا . أين كنت . تختفين كل عدة أيام . أين تذهبين ؟

- كنت متعبة . أحتاج الي النوم لفترات طويلة.

سيف ذهب بالأمس واخبرك . أليس كذلك ؟

- نعم . أخبرني . ولكني غير مستعدة لذلك . أعتقد ان شادن ستكون افضل مني.

شادن اخذت فرصتها مرتان واثبتت كفاءة وجاء دور اكتشاف احد جديد فلن اعتمد علي شادن باستمرار واحرق باقي اعضاء الفرقة . لماذا تهابين الموقف؟

- أنا لم اقف أمام جمهور من قبل وأشعر برهبة من ذلك واخشي من الفشل.

جينا . أنتي ستذهبين يوم الحفلة بعد ان ترتدي ثيابك الأنيقة بصحبة سيف ستقفين واضعة الكمان علي ذراعك. اهتمامك و تركيزك وشعورك كله منصب علي حركة اصابعك علي الكمان فمك مغلق لسانك بالداخل عينك علي حركة اصابعك وكيف تمررين انامللك بخفة ودقة علي جسد الكمان لكي تصدرين نغماتك الاخاذة لن تتحدثي مع احد ولا تنظري الي احد أنت في عالمك تقفين في عالمك الخاص في ركنك الخاص لا يهمك اذا كان المكان خالي او ملئ بالناس انتي في عالمك . العازف الناجح لا يشعر بمن حوله ولا يهمه من مر أمامه . لا يتحدث ولا يرى ولا يشعر بأحد سوي بحركات يده . هل هذا أمر صعب تنفيذه ؟

-أي شئ له علاقة بالعزلة أنا أجيده وأبرع فيه فما بالك اذا كان عزلة مع الكمان.

اذن . لا توجد مشكلة . انتظر منك أداء مميز.

خرجت من غرفة المدير وجدت سيف يقف ينتظرها قال لها:

كيف سارت الامور معك جينا؟

يصمم علي وجود أشخاص جدد في الاداء . سأؤدي معك يا سيف.

ستحبين التجربة واعدك اني ساقف بجانبك.

(ف)

عادت جينا الي منزلها حملت وجبة الماكدونالدز ووضعتها امامها وبدات بتناول طعامها . رن جرس الباب .. من الواضح انها مدام هيام التي تسكن قبالتها . قامت لتفتح الباب وعادت لتكمل تناول طعامها .. لقد حفظت طريقة هيام عن ظهر قلب . هيام زوجة تاتي لتتحدث مع جينا باستمرار عن حياتها . جينا استسلمت للامر الواقع فالجار الذي يسكن قبالتك هو قدر. لا يمكنها ان ترفض الحديث معها او التعامل معها دون سبب.

اريد ان اشتري فستان أسود لحفلة ستقام بالاوبرا .. بامكانك مرافقتي في ذلك؟

- بالطبع. اختاري الوقت المناسب لك وانا سأذهب معك.

غدا يناسبك؟

- بالطبع جينا.

رن الهاتف. ردت جينا. كان سيف اخبرها أنه يريد التحدث معها بشأن الحفلة فرحبت به وأخبرته أنها تنتظره.

قالت هيام:

- ستستقبلين شاب هنا في منزلك؟

وما المانع؟

- أنت وحدك جينا. بامكاني ان أجلس معكم؟

لا داعي. علاقتنا سطحية ولابد من ان نجلس معا لترتيب ما سنفعله في الحفلة لأنه سيؤدي معي.

- فهمت ولكن أجعلي الهاتف بالقرب منك للاحتياط.

ذهب سيف الي جينا بعد ان اخبر شادن بكل شئ وحاول أن يجعلها تفهم أن الامر لا يتوقف علي احد تظاهرت شادن انها ليست غاضبة وانها تتمني الخير لزميلتها ثم ألقت بسؤال فجائي لسيف : اين كانت في الخمس سنوات السابقة ؟

- لا أعلم.. فأنا علاقتي بها عابرة جدا ولا أستطيع ان أسالها عن ذلك.

وقف أمام الباب.. رن جرس الباب. أستقبلته جينا.. لم يلاحظ المنزل في اول مرة. بدأ يلمح بعض الصور التذكارية. جلس قبالة غرفة النوم. قامت جينا باغلاق الغرفة بسرعة ثم اعدت له شاي مع قطعه من الكيك تعودت علي ذلك في لندن. هناك بعض العادات يجب ان تغيرها.

ظلت هيام تستمع الي صوت الكمان من شقتها وفي الحادية عشر مساءا انقطع الصوت فقامت وواربت باب شقتها وجدت سيف يخرج . نظرت لجينا نظرة مرضية وقالت لها ليلة هانئة.

اغلقت جينا باب شقتها وقد انتابها احساس افتقدته من فترة. احساس ان يطمئن عليك أحد بلا مقابل.

(م)

ظلت شادن ساهرة طوال الليل تتحدث مع أمين وهو شاب يعمل في شئون الطلبة ويسكن قبالتها . ظل يسمعها نكت وأفيهات و أضحكها كثيرا . كانت تعلم انه كان يريد ان يتحدث معها منذ فترة فوجدتها فرصة حتي تصل الي ما تريد معرفته ثم تحول الحوار بينهما الي. الحديث عن الزملاء والزميلات فأختلقت قصة وهمية بأن جينا ضايقتها وعاملتها بشكل غير لائق وكانت شادن مقنعة جدا حتي جعلت أمين تحمس في عمل أي شئ لكي يثبت لشادن انه يرغب في رد اعتبارها فاخبرته أنها فقط تريد ان تري ملفها و اوراقها الشخصية التي قدمتها لادارة المعهد ونامت شادن علي وعد بأن ملف جينا الشخصي سيصلها منه صورة في اليوم التالي.

في محل الملابس ارتدت جينا عدة موديلات ولم ينالوا اعجابها ثم وقع نظرها علي فستان اسود قصير شعرت انه يناديها فاشترته علي الفور ومدام هيام لم تعلق علي ذلك ولكنها قالت يجب ان تختاري ما ترتاحين له ويليق بك. أشترت الفستان والحذاء وعقد من اللؤلؤ وانتهي يومها علي هذا الشكل واستعدت لليوم التالي.. يوم الحفلة.

لم تذهب شادن الي المعهد ظلت في منزلها . بعد الثالثة عصرا جاءها مظروف مع البواب مكتوب علي ظهره انه مرسل من أمين سكرتير المعهد لشئون الطلبة. أفرغته بسرعة في غرفة نومها قرأت ما به وأغلقته ووضعته في الكومودينو.

فتحت اللاب توب وقامت بعمل بحث عن اسم والد جينا فظهر امامها أشهر جراح مخ وأعصاب في مصر وحاصل علي الزمالة البريطانية وزوجته تمتلك مركز للتحاليل خاص بها خريجة علوم قسم كيمياء . كل هذا جيد . اين كانت طوال الخمس سنوات الماضية فأوراق المعهد لا تضم سوي شهادة الثانوية العامة بمجموع ٩٩٪ وحاصلة علي الدرجات النهائية في كل المواد العلمية . كل هذا رائع ولكن هناك خمس سنوات مختفية ضائعة ساقطة من حياة جينا ويجب ان اعثر عليها..

(ن)

ظلت هيام جالسة تراقب جينا وهي ترتدي فستانها وتقف امام المراه وتقدم لها بعض النصائح. وكانت تود ان تذهب معها لكن وعدتها في المرة القادمة ستكون معها. كانت جينا متوترة اخذت قرص مهدئ من النوع الذي لا يسبب النعاس ولكنه لم يخفف التوتر الا قليلا ربما لأنها تعودت علي النوع الثقيل الذي يجعلها تنام لساعات طويلة .. اما الآن فهي تحتاج الي التركيز. أحتاج لسيارة لمثل هذه المواقف. كانت هيام قد طلبت لها اوبر وأنتظرها بالأسفل.

دخلت الي مبني الأوبرا وجدت سيف يركن سيارته أشار لها حتي يدخلوا معا وسألها: اذا كانت بخير وكان الرد وصله عندما لمس يدها وجدها كالثلج فحاول أن يخفف توترها فقال لها: اول خمس دقائق سيزول كل هذا التوتر .. لا تقلقي. أنا معك. انت جميلة جدا اليوم كأني آراك لاول مرة.

كان خارج كالسهم من قوسه في تلك اللحظة شاب وسيم أنيق اوقفته جينا رغما عنه. قال هامسا فراشة سوداء ساحرة ظل يراقبها لاحظ خوفها وتوترها. وجد شيئا يتأمله بعناية. من تلك الفتاة؟ أعتقد انها أول مرة تدخل هذا المبني. اقترب منها شعر بتأثيرها أقوي. بها شئ غامض يستحق التأمل. من هذه الفتاة .. سار ورائها فوجدها تذهب لغرفة الاداء فعلم انها ستؤدي. الآن فهمت وجه جديد لهذه الليلة بدل رأيه في ثانية وبدلا من مغادرة المبني جلس في صفوف الحاضرين وأنتظر لحظة ظهورها. أريد بشدة أن استمع الي عزفها.

جينا. سنصعد. هل أنتي مستعدة ؟

نعم يا سيف .. لا تقلق أنا بخير ساركز جيدا في نصائح مدير المعهد.

صعدت. وصعد معها سيف. لم تنظر لأي شخص من الحاضرين كأنها غطت عينها. وقفت بجدية واضحة ورفعت الكمان علي ذراعها وبدأت.

هذا محرابي الخاص سأغلق عيني عن أي شئ سوي معزوفتي. فمي مغلق. عيني مثبتة علي حركة اصابعي. تركيزي علي ما اعزفه. بعد اول خمس دقائق زالت رهبتها. امتثلت لرغبة نفسها في الهدوء. تذكرت كل حركة مشرط كانت تمر فوق جسد المرضي فوجدت نفسها تمر بيدها فوق الكمان. أعزفي يا جينا. هذا أفضل. هذا أروع. غوصي في أعماق العزف الذي لا يترك خلفه دماء تسيل من جسد أحد فكل تمريرة لا تخلف ورائها سوي نغمات موسيقية. أعزفي فأنتي امام عقل مستمتع وروح منهكة تبحث عن ملاذ رحيم وعيون تنهمر منها دموع الفرح دموع من وجد ملجأ يخفي ورائه الام لا يمكن البوح بها.

ستجدين أشخاص يصفقون لاستمتاعهم بالعزف بابتسامة ونظرات فرحة لا يضعون كمامات فوق أفواههم لا يخفون وجوههم ويعقمون المكان تعقيم كامل. رائحة العطور المختلفة تملأ المكان الروائح مختلطة الحريمي مع الرجالي لا يوجد أثر لرائحة المطهر. ضوضاء. ضوضاء. لا يوجد سكون. توجد حركة. توجد حياة. أشخاص تواجدت هنا للاستمتاع فقط وإزكاء روح الذوق فهنا لا نحتاج منهم سوي استراق السمع ورهافة

الأحاسيس وصفاء الروح وتحية تقدير لاحترام أذنهم التي استمتعت بالعزف.

كانت ليلة هانئة. شعرت ان ذلك جعلها تزيل حاجز الخوف والعزلة التي فرضتها علي نفسها. أبي. أنا أنثي .. سأعثر علي نفسي بطريقتي الخاصة.

ظل الشاب جالس في مكانه وظل يردد في نفسه: كأنها ساحرة. قام بعد انتهاء العرض وتوجه لها مباشرة وقال لها: كنت رائعة وهذا أقل ما يجب ان أقوله هذه تجربتك الاولي؟

قالت جينا: نعم

قال الشاب: ولن تكون الأخيرة. انا مدرس مساعد في الاكسفورد. من الافضل ان نتبادل ارقام الهواتف فأنا لن اجعل فرصة مثل هذه تذهب مني.

تعجبت جينا ثم قالت: ما فهمته انك تريد رقم الهاتف. أليس كذلك؟

نعم. من فضلك.

سجلت هاتفه ثم قالت هذا رقمي واكتب امامه جينا.

جينا. جينا.

ظل يحمل الهاتف وهو يراقبها وهي تبتعد وقال: ليلة كالحلم تمر مرة او أكثر في حياة الانسان. أحيانا عندما تقابل شخص تشعر انه سيحدث بينكما أشياء عظيمة جدا اما حزينة جدا او سعيدة جدا . جينا سيكون لها معي جولة كبيرة في حياتي وبدأت في تلك الليلة.

اتصلت زيزي بشادن وأخبرتها ان الحفلة كانت رائعة وأرسلت صورة لجينا وهي تعزف علي المسرح فور أن شاهدتها شادن حتي حدقت بعيونها وفتحتهما بشدة. انه نفس الفستان الذي كنت سأرتديه في الحفلة.

ظلت شادن طوال الليل تفكر في جينا. لماذا تشغل بالي الي هذا الحد؟ اخرجت رقم هاتف والدها الطبيب وقالت: الأمر يستحق زيارة لرؤية والدها. يجب ان اقترب لأكتشف الأجزاء المخفية في حياة جينا. لماذا افعل ذلك؟ لا أعلم ربما الغموض والفضول يجذبني. أعتقد ان هناك شئ يستحق الاكتشاف.

عادت جينا وتذكرت انها لم تعرف اسم الشاب الذي أخذ رقمها . أعتقد انه سيحدثني قريبا . لم تخلق الثانية القادمة حتي رن هاتفها كان هو . أعتقد انك لم تنامي حتي الان.

- نعم . نسيت ان أسألك عن اسمك.

أسمي حسام هل يعجبك ؟

ضحكت جينا ولم ترد فقال:

- نتقابل غدا اذا لم تمانعي.

لماذا؟

- اريد أن أتحدث معك في أمور كثيرة . كثيرة جدا.

ربما بعد المعهد.

- الخامسة مساء .. هل يلائمك؟

نعم .. ملائم.

كان لديه لهفة غير طبيعية في اكتشافها . حالة شغف شديدة اجتاحته.

اتصلت شادن بسيف لكي تطمئن من ان تأثيرها مازال قوي في روح سيف فوجدته مبتهج كثيرا وظل يتحدث عن اندماج جينا مع الكمان كأنهم كانوا وحدهم. المحادثة جعلتها تشتعل نارا. تأثيرها علي سيف بدأ يهبط . مكانتي عند سيف اهتزت. جينا. جينا. يجب أن أعثر عليك بسرعة.

عاد حسام الي منزله ظل ساهرا طوال الليل. لقد عثرت علي نصفي الأخر.

فراشتي السوداء. الساحرة. جينا.

(ف)

تحدث حسام مع أستاذه الذي يشرف له علي رسالته عن جينا وحاول كثيرا ان يقنعه ان يضم جينا لمجموعة اكتشاف المواهب التي تشارك بعرض مرة كل شهر وكان رد أستاذه انه سينظر في الأمر. وجدها حسام فكرة جيدة لكي يجد طريقة لرؤية جينا حتي لو مرة كل شهر وذهب للقائها وهو

يحمل معه هذا الخبر. دخلت المطعم بحثت عنه يمينا وشمالا ثم وجدته في ركن هادئ أشار لها بيده .. جلست معه فقال:

- خرجت لتوك من المعهد. وبالطبع جائعة.

ضحكت ولم ترد

- ماذا تأكلين ؟

أي شئ. اين المنيو؟

- تفضلي.

وانت ؟ لن تأكل معي؟

- يجهزون طلبي.

اختارت جينا طبق وذهب الجرسون ليعد لها الطبق وبعد قليل جاءت الاطباق.

بدأ حسام بالحديث عن العرض الذي جاء به. هي لم تركز فيما يقوله. فقط لحظة وصول الاطباق وجدته طلب وجبة صيني وبدأ يأكل بالعصا. وهو يتحدث. ماذا تفعل انت؟ لم تسمع اي كلمة مما قاله.. لاحظ شرودها.. توقف عن الكلام. وتوقف عن الطعام. ووضع العصا من يده.

- ماذا حدث جينا؟ هل ضايقتك في شئ؟

ظلت محدقة للطبق الذي امامه وقالت: اكره الوجبات الصينية واكره العصا الصينية واكره من يأكل بها.

قال كانه ينفي تهمه عن نفسه:

- حسنا. جرسون.. من فضلك.. احضر لي طبق مثل الانسة فورا وخذ هذا من أمامي. أعتذر. لم اقصد ازعاجك. اعتقدت ان كلامي عن العرض هو الذي ضايقك.

قالت بعد ان زال الاثر السلبي: ماذا كنت تقول ؟

اعاد عليها العرض مرة اخري. قالت: بالطبع ساوافق .. ومن يرفض ان يعزف في الاوبرا مرة كل شهر . سيتم اكتشافي بشكل جيد .. اشكرك علي اهتمامك بي.

- جينا . انا معجب بك.

لم ترد . هي لم تفهمه . هي لم تعرف معني ان يعجب بها احد . لم تعش مراهقتها . لم تقرا رواية رومانسية . لم تمر بقصة حب ابدا . كان صعب عليها ان تفهم ما يقوله . صمتت.

بادرها بسؤال:

- هل هناك احد في حياتك؟

نعم جارتي التي تسكن قبالتي.

ضحك ثم قال:

أقصد هل تحبين احد . شاب . رجل . وتتمنين الارتباط به ؟

- لا . حياتي فارغة.

اذن . لماذا تتعجبين من كوني معجب بك؟

- لا اعلم . هذه اول مرة اسمع هذا الكلام.

حقا؟ . شئ غريب.

- وما الغريب في ذلك؟

لم تمري في حياتك بامر كهذا ابدا ؟

- هذه هي الحقيقة.

وما رايك فيما قلته؟

- سافكر . احتاج الي التفكير في الامر.

خذي وقتك .. اخبريني الآن لماذا تكرهين الوجبات الصينية؟

نطرت السكينة من يدها وبلعت ما تاكله بصعوبة ثم اشارت انها لا تريد ان تجيب.

براحتك . لكن من فضلك اكملي طعامك وبعدها ساوصلك الي منزلك.

اخذها حسام في سيارته قالت : ارغب في امتلاك سيارة .. في حاجة ماسة الي سيارة ولكنها ستكلفني الكثير.

بامكانك شرائها بالقسط.

حتي القسط لن يكفي . مصاريفي كثيرة

لم ترد ان تخبره ان ادويتها تكلفها مبلغ كبير وبالكاد تغطي تكاليف دراستها واخر قسط للكمان الخاص بها سيكون الشهر القادم ربما تتحسن ظروفها بعد التخلص من اقساط الكمان . جوري لم ترسل لها المبلغ المتبقي الذي ارسلته والدتها . كانت فكرة جيدة موضوع رحلة فيينا ستحول لها مبلغ جيد حتي لو كانت جوري ستأخذ نصفه فهذا مقابل انها تغطي غيابها عن لندن امام والديها . يكفي انها تحملت سنتان تخفي ما نحن عليه من بؤس . تعبت معي كثيرا.

وصلت للمنزل قالت لحسام: توقف هنا.

هذا منزلك؟

- نعم هو.

أراك قريبا؟

- دعها للظروف.

اذن ساحدثك مساء.

ابتسمت وخرجت من السيارة.

صعدت شادن في المصعد المتوجه الي عيادة الدكتور فؤاد حسين حجزت مستعجل ودخلت الي الطبيب وجدت مكتبه فخم لدرجة كبيرة جلست امامه او اخبرته انها تعاني من صداع مستمر وذبذبات عالية في الاذن واخبرته انها تعزف كمان في معهد الموسيقي العربية لم يكتب لها الا علي مهدئ خفيف واخبرها انها ليست في حاجة الي تحاليل او اشعة . شكرته وخرجت لاحظت ان مكتبه خالي من اي صورة تذكارية لجينا او لأحد

اخر .كما لاحظت انه لم يتعجب انها زميلة لجينا ابنته ولم يتطرق الي اي شئ يخص معهد الموسيقي العربية كان الأمر لا يعنيه.

(ر)

وضعت طعام للعصافير الموجودة داخل القفص وملأت أنبوبة الماء لهم . وضعت كوب الاسبريسو علي حافة البلكونة . ظلت تشاهد المارة من الناس وتلقي نظرة بين الحين والاخر علي قفص العصافير . اشعلت سيجارة .. ظلت مستندة علي حافة البلكونة تشاهد المارة في الشارع . لاحظت ستارة تنزلق بسرعة من البناية المقابلة .. تجمد الدخان الصاعد من فمها . نظرت بطرف عينها نحو النافذة . كأن احدهم يراقبها .. عادت لحركتها الطبيعية وألقت بالسيجارة في كوب الاسبرسو . ألقت نظرة أخيرة علي قفص العصافير ثم دخلت سحبت شال ولفته حول رقبتها وعادت الي البلكونة القت نظرة خاطفة علي البناية . لاحظت نفس الحركة السابقة ستارة تنزلق. استعدت للخروج.

خرجت من العمارة توجهت الي البنك . المبلغ وصل . سحبته وقامت بتوجيه جزء منه الي حساب جينا وأخذت الباقي . خرجت جوري من البنك وذهبت الي احد المحلات لتشتري قبعة اسبانية . كانت تعلم ان هناك احد يتبعها .. دخلت كابينة الهاتف واتصلت بجينا . اخبرتها بانها حولت لها نصيبها وأنهت المكالمة لم تكن تريد ان تخبر جينا بمخاوفها . وضعت القبعة علي راسها . لفت الشال حول رقبتها . ذهبت الي احد المطاعم الصينية ودخلت الي المطبخ وجدته يجلس يجهز وجبة لنفسه قال لها : معك هاتف خلوي . لماذا تستعملين كابينة الهواتف؟ قالت : ليس معي نسيته في المنزل .. انتظرته حتي انتهي وادخل وجبته في النار وظلوا جالسين بجانب الطبق حتي يستوي . مرت دقائق وهي تقف بجانبه وتلف ذراعاها حول صدرها . صامتين يراقبون النار وهي تسوي الوجبة التي صنعها لنفسه . اخرج طبقه ووضعه علي طاولة خشبية وخرجا معا وجلسا علي احد طاولات المطعم غرس العصا الصينية في الطعام . وجلست امامه جوري صامته . اخرج هاتفه رن علي هاتفها وهي جالسة قالت بثقة: اخبرتك اني نسيت الهاتف في المنزل.

قال بهدوء: الطعام يبرد بسرعة هنا . يجب التهامه قبل ان يبرد.

جورى جالسة متضايقة وغاضبة كل يوم حرقة دم وحرقة أعصاب لابد ان تظل المعاملة هكذا يجب ان يشعرني بعدم الثقة . فانتي مجرد لاجئة يجب ان تتحملي هذه المعاملة لأنك لن تجدي مكان تلجأين له فيجب ان تشكري ربك علي هذه المعاملة واذا لم يعجبك فعودي الي وطنك هذا اذا وجدتيه . ابتلعت ريقها وأخذت نفسها بصعوبة . ظلت جالسة امامه تلعب في الانسيال الذي ترتديه ولا تنظر له . يلتهم طعامه . رائحة الطعام الذي يتناوله مستفزة .. يجب ان تظل جالسة حتي ينتهي من طعامه ويخبرها بما يريد مقابلتها من اجله.

مسح فمه بطرف المنديل واخذ العصا ووضعها في المنديل وقام بلفها ووضعها في جيبه لا يريد ان يترك اثر للعابه.

رفعت جوري احدي حاجبيها بعد هذه الحركة . وظلت تلعب في الانسيال ثم قال لها: احضرت فتاة تاريخ ميلادها مطابق لتاريخ ميلاد جينا وساقوم بعمل نفس الخطوات التي فعلتها مع جينا ربما نصل الي درجة العبقرية الفذة التي اظهرتها جينا وتصنع لنا خوارزمة مثل جينا.

لم ترد عليه جوري . ظلت تلعب بالانسيال . ثم قالت:

طالما انها مطابقة لجينا في كل شئ فهي ستهرب قبل ان تأخذ منها شئ كما فعلت جينا.

ساخذ احتياطاتي هذه المرة وستنفذ كل شئ رغما عنها.

لا أعتقد. فهي مطابقة لجينا وستفعل مثل جينا تماما.

عندما تقوم بنفس الخطوات ستصل الي نفس النتائج.

حملت حقيبتها علي كتفها ثم قالت: سأنصرف الآن وأتمني ان تحرز تقدم.

سارت في الطريق تفكر فيما سمعته . هو يكذب . هو لم يجهز أحد مطابق لجينا ولا غيرها. مازال عنده امل في العثور عليها .. هو يشك بي . ويعلم أني اعلم انه يشك بي . لن تفلح محاولاته في الوصول الي الخوارزمة مهما فعل . سيصاب بالجنون مما فعلته جينا . هو يحاول ان يعثر عليها وهذا اكثر ما يقلقني.

(د)

هذه رواية روميو وجولييت لوليم شكسبير .. أقرايها يا جينا . ستخبرك كيف يكون التعلق والاهتمام والحب بين الرجل والمراة . اعتقد انها اول رواية رومانسية تقرايها هي مشهورة جميع الناس قرأوها وساناقشك بها . جينا اتركي مشاعرك لي وانا ساقوم بتوجيهك للعلاقة السليمة بين الرجل والمرأه.

اخذت جينا الرواية وقالت: سمعت عنها كثيرا . ساقراها.

قال حسام: لا تركزي الا في البدايات فقط .. اريدك ان تعرفي كيف تتكون العلاقة. نواة العاطفة فقط لا غير. والباقي اتركيه لي.

كانت شادن تمر من امام الكافتريا . لاحظت وجود جينا مع حسام . ظلت تنظر لهم من خلف زجاج الكافتريا ولاحظت الرواية الموضوعة امامهم . شدتها احدي زميلاتها لكي يدخلوا الكافتريا : لماذا تقفين هكذا ؟ هيا ندخل.

دخلت مع زميلتها لم تعيرها جينا اي اهتمام.. كما تظاهرت شادن ايضا بانها لم ترها . ولكنها جلست تراقبها . حتي خرجت مع حسام وظلت تتابعهم بعينها حتي اختفوا .. تنهدت واحتفظت بما راته لنفسها.

اوصلها حسام بسيارته وبعد ان ودعته اكمل طريقه الي المنزل . ظهر له فجاه علي الطريق شاب لم يفهم كيف ظهر هكذا فجاة .. حدث اصطدام بين السيارتين خرج حسام من السيارة واتجه الي السيارة التي صدمها . انه شاب وفاقد للوعي . لا يوجد مفر . اتصل بالاسعاف وقرر ان يواجه الموقف . جاءت سيارة اسعاف حملت الشاب الذي كان يبدو من ملامحه انه غير مصري . ذهبوا الي المستشفي وذهب معهم حسام ولكن الامر لم يطل كثيرا ارتجاج خفيف في المخ وبعض الخدوش والكدمات . استعاد الشاب وعيه وعند فتح التحقيق قال انه لا يريد ان يصنع مشكلة فالشاب الذي صدمه لم يكن يقصد كما انه انقذه وطلب له الاسعاف . تنفس حسام بصعوبة . لن يبيت في الحجز . الحمد لله . كان شاب محترم . ذهب ليطمئن عليه فعلم بريطاني واسمه بيتر و انه يعمل في السفارة البريطانية بالقاهرة . ظل جالسا بجانبه لفترة وحاول حسام ان يساعده في ان يطلب له احد معارفه زوجته او زملائه ولكنه قال انه غير متزوج وحديث الانتقال

هنا ولم يستطع تكوين علاقات قوية مع زملائه فعلم حسام انه وحيد . وبدات بينهم صداقة.

(عزف منفرد)

قرات جينا الرواية وتقابلت مع حسام واخبرته ان القصة تدور حول عائلتين بينهما عداوة كبيرة . كيف ينجو حب وسط العداوة . الامر الحتمي سيتم القضاء عليه لأنه يعتبر صفة شاذة وسط تقليد سائد بين عائلتين هذا التقليد هو العداوة والناس عادة يسيرون على ملة سابقيهم الطريق السهل هو ان تسير مع القطيع وعندما تخالف تتهم وتنبذ وتصبح غير مرغوب بك.

قال حسام: نعم افهمك . ولكن لم أقصد ان تسلطي الضوء علي عائلاتهم ولا علي موطن اقامتهم . فقط خذي الخلاصة المشاعر الفياضة التي كانت بينهما فعندما تحبين يولد حماس يدفعك لفعل أشياء لا تتوافق مع الاعراف والتقاليد ويولد لديك شجاعة لمواجهة اي احد يحاول ان يقضي علي حبك وتولد لديك صفة المكر للحفاظ علي هذا الحب.

عندما احب سأمتلك كل هذا ؟ الحماس والشجاعة والمكر ؟

- نعم يا جينا عندما تحبين سيحدث لك هذا.

أنا ارغب في اقامة قصة حب معك.

ضحك حسام ثم قال: بداية موفقة والرغبة متوفرة في كلانا.

- ماذا سيحدث بعد ذلك؟

ستعرفين وحدك ما سيحدث عندما اغيب ستفتقديني. عندما امرض تحزنين. عندما أهجرك ستكونين تعيسة مهملة. عندما اخطا تسامحين.

- انها تنازلات كبيرة. هل هذا هو الحب؟ اين الشجاعة والحماس والمكر؟

موجودين فقط لحماية الحب من الدخلاء. لكن ما تقولين انه تنازلات هو قلب قصة الحب وستقومين بها وانتي مستمتعة.

- حقا؟. ما هذه الثقة ؟

هذه الثقة جاءت من هذه . واخرج لها تذكرة لعرض في الاوبرا ثم قال:

اول عرض لك مع المواهب سيكون بعد غد . هل انتي مستعدة؟

- بهذه السرعة؟

نعم . وسيكون مرة كل شهر.

- ولماذا لم تخبرني قبل ذلك حتي استعد.

ستذهبين غدا الي الاوبرا لاجراء البروفة مع الفرقة . الامر بسيط . ستعزفين لمدة عشرون دقيقة فقط.

- ساذهب وحدي؟

لا . ساكون معك هناك.

كانت شادن تراقبها حتي خرجت من الكافتريا وسارت ورائهم بالسيارة وجدتها تنزل في منطقة الدقي . منزل والدها في جاردن سيتي . معني ذلك انها تعيش وحدها . انها اذن مستقلة عن والديها . منفصلة عنهم لسبب ما . ما هو يا تري؟ تنهدت كعادتها عندما تجد امر لا يحلو لها واكملت طريقها الي المنزل.

صعدت جينا الي منزلها . كانت تشعر بفرحة ستشارك في عرض للمواهب مرة أخري . اخذتها الحماسة مرة اخري . ستعزف . سترتدي الاسود وتتأنق وتنسي بؤسها وتعزف.

اتصل أمين بشادن في المساء . كعادته بعد ان اتصلت هي به لتأخذ منه صورة من ملف جينا . يبدو انه لم يفهم بعد . انا لا ارغب في علاقة . كل يوم يتصل .. افهم . لقد انتهي الامر . ثم ردت عليه قائلة : أمين انا لا اريد ان اقم علاقة في الوقت الحاضر .. اعتذر منك.

اتصل بها سيف وتحدث معها : مختفية . لا تواظبين علي الحضور . ما الذي يشغلك ؟

- لا شئ يا سيف.

هل مازلت غاضبة من جينا؟

- ولماذا أغضب؟ لقد انتهي الامر ونسيته تماما.

اذن. ما بك؟

- لدي امور تشغلني قليلا.

هل هذا هو كل شئ؟

- نعم هذا هو كل شئ.

في تلك الليلة . جلس وراء حسام مباشرة . تابع العرض . فقرة المواهب كانت ساعة واربعون دقيقة . أخذت منها جينا عشرون دقيقة.

بعد التصفيق .. انتظرها حسام للخروج . يا أنسة . لحظة من فضلك .. استدارت جينا لتري احد عمال الاضاءة يعطيها ورقة مطوية وقال: عذرا. تركها أحدهم لك فتحت الورقة وجدت بها جملة قرأتها ثم قالت في سرها: لقد وصلوا . التفتت تنظر لخشبة المسرح . وقوفي هنا كشف أمري .. ألقت الورقة وسارت فوقها وضعت يدها في يد حسام وقالت بهمس: خذني من هنا.

- ماذا بك؟ كان أدائك رائع ؟

خذني من هنا.

مرت قدماها فوق الورقة بصحبة حسام. خلفها مباشرة انحني واخذ الورقة:

خطي بالعربية اصبح جيد جدا .. ثم ضحك.

خرجت مع حسام الذي طوقها بذراعه هذه المرة عندما وجدها ترتجف وقال:

- هل تعرضت لنوبة برد ؟ ماذا حدث جينا؟

ما أسوأ هذا العالم . لا يمكنك الاختباء من أحد لمدة طويلة . الأقمار الصناعية اللعينة كشفت كل السواتر . سارت مع حسام حتي منزلها.

- هل انت بخير جينا؟

اريد أن اكون وحدي.

- لن أسمح لك بالانغلاق علي نفسك مرة أخري.

أحتاج الي النوم . تصبح علي خير.

- جينا . جينا .. انتظري.

كانت كلما ضاقت بها تتصل بوالدتها تسمع صوتها وتغلق . اتصلت بوالدتها : الو . الو . من المتحدث . الو . لا احد.

أغلقت الهاتف او بمعني أدق وقع من يدها . استسلمت لنداء المهدئ القوي تعالي في احضاني لتنامي.

في المعهد . قام الدكتور بمعاقبة المتغيبين عن محاضرته بالفصل لمدة اسبوع وكان من بين المتغيبين شادن وجينا . اتصل سيف بجينا ولكن لا حياة لمن تنادي .. اما شادن فلم تهتم بالامر وقالت : خير ما فعل.

استيقظت جينا مريضة . كان حسام معه حق عندما أخبرها أنها أصيبت بنزلة برد . حرارتها مرتفعة . تسعل . طنين بالاذن . قامت بصعوبة وعملت ابريق من الليمون ووضعته جانبها واستلقت علي السرير . مسكت الهاتف وجدت سيف ثلاث مكالمات فائتة . اتصلت به فأخبرها بالفصل فأخبرته انها مريضة وستظل لمدة اسبوع بالمنزل.

في المساء اتصل بها حسام واصر ان يصعد ليراها ويطمئن عليها . بعد قليل هرولت مدام هيام وجلست معهم . بعد قليل تفاجات بسيف وزيزي وشادن حضروا لزيارتها . تفاجات من حضورهم . قالت هيام: من الافضل انهم حضروا فجلوس حسام معك في الغرفة خطأ . الان اصبحوا مجموعة سأذهب لاعد لهم مشروب.

سالتها زيزي: من هذه ؟

- جارتي.

قالت زيزي: لا اريد التطفل ولكن اين والداك ؟

- مسافرين.

حدقت شادن بها ثم نظرت في الارض بسرعة . انها تكذب.

قالت زيزي:

- شادن اصرت علي الحضور حتي تعلمي ان النفوس صافية .. أليس كذلك يا شادن؟

اومات برأسها موافقة علي كلام زيزي.

مال سيف برأسه من شادن وقال هامسا:

- الحاحك علي ان تأتي معنا وصمتك الرهيب هذا كيف افسره ؟

جئت ازور مريضة لاني انسانة صاحبة اخلاق.

- حقا ؟

جاءت مدام هيام وهي تحمل اكواب من العصير بالحليب.

وقعت عين شادن علي علبة المهدئ الموضوعة علي الكومودينو سجلت اسمه علي الموبايل وقامت بعمل بحث عنه وهي تجلس وسطهم.

رفعت عيناها نحو جينا ثم همس لها سيف وقال: قولي شيئا لها انتي بهذه الطريقة تجعليني اشعر انك مجردة من الاخلاق.

ردت شادن موجهة حديثها لجينا: الف سلامة جينا.

ردت جينا: الله يسلمك.

همست شادن لسيف: هل هذا يروق لك؟

قال سيف: احيانا اشعر اني لا أعرفك بالمرة.

ردت شادن : ومن قال انك تعرفني؟

انصرف حسام بهدوء شديد وبعده بدقائق انصرفوا جميعا . فرحت مدام هيام لأنها اصبحت تملك أصدقاء وعملوا فوضي بالمكان.

قالت جينا: ليسوا أصدقاء .. انهم زملاء دراسة.

انصرفت هيام بعد ان اعدت لها حساء دجاج وخضروات..

استرجعت جينا ما حدث ليلة أمس . الورقة المكتوب فيها : أحييك بشدة . فعندما قررت الانفصال عنا لجأت الي مهنة الفم المغلق . الاقمار الصناعية تكشف بسهولة كل من يقف علي خشبة المسرح.

هل تعلمين معني ان يصل لك احد عن طريق القمر الصناعي جينا؟ معناه ان من يبحث عنك تابع لاستخبارات . لا اعتقد ان تشاو مينج الصيني بامكانه الوصول لي بهذه الطريقة . جوري لم تخبره وهو لم يعرف . فمن يكون ذلك الذي يبحث عني بالقمر الصناعي ؟

في لندن:

- جلست امراه في الاربعين أمام تشاو مينج:

المطعم تحت امرك جاكي.

- اجلس تشاو.

ليس قبل ان اعد لك طبق خصيص لمن هم مثلك.

- لا داعي لاي اطباق . اجلس.

ليس قبل ان اعد لك طبق.

جلست ودخل هو المطبخ وارتدي القفازات وبدأ يعد لها طبق مخصوص وتنحي جميع العاملين في جنب حتي انتهي من عمل طبق ووضعه علي الطاولة الخشبية وحمله بنفسه الي جاكي:

تفضلي سيدتي . اخبريني ما رأيك فيه .. هيا تناوليه قبل ان يبرد.

وضعت طرف العصا في فمها وقالت : رائع . اخبرني . هل وجدت الفتاه؟

- لا.

أنا سأخبرك عن طريقة فعالة للوصول الي اثرها.

- ما هي؟

قلت انها تدرس هنا ووالدها يرسل لها مبالغ نقدية عن طريق البنك.

اشاح تشاو مينج بيده وقال: لقد فعلتها وعلمت ان المبالغ تصلها وتواظب علي سحبها . جينا هنا . لكنها مختفية.

ملات جاكي فمها بالطعام ثم ضحكت : اذا كانت هنا فأين هي؟

سأجدها . قبل ان تغادر بيوم أخبرتني انها تنوي القيام بالكثير من الاعمال هنا في لندن وثاني يوم . فجأة لم أجدها . جينا لم تغادر.

تواصل جاكي الضحك فقا: ما الذي يضحكك؟

قالت: دعك من حساب البنك . لماذا لم تزورها والدتها مثل كل عام؟

لأنها غير موجودة هنا . بالتأكيد هي تزورها في مكانها الذي اختفت فيه.

تعالت ضحكات جاكي وقد انهت طعامها بشهية كبيرة ثم قالت: كم انت مسلي تشاو مينج.

قال لها: حقا؟

ثم غادرت . اخذ الطبق والعصا التي تناولت بها ولفها في منديل وكتب علي طرفه : جاكلين ريس . ووضعه بجيبه .وقال: وانت ايضا مسلية.

جاكلين ريس كانت تخدم مع فرقة خاصة في حرب العراق وتحمل رتبة جنرال وحاليا تعمل مع هيئة الصناعات الدوائية.

كانت جاكلين ريس لا تعلم اي شي عن جينا هذه الفتاة الصغيرة القادمة من منطقة الشرق الأوسط ولكن تشاو مينج اخبرها عنها عندما علم انها متفوقة وتعد خوارزمة خاصة بالجينات الوراثية اذا تم تطبيقها سيتم التحكم بجيوش العالم من خلال الجينات ولم يفصح تشاو مينج عن الكثير من الامر حول هذه الخوارزمة لأن جينا لم تخبره الا بمختصر القول . وعندما زارته جاكلين ريس ذات يوم قص عليها ما حدث .. ثم اختفت جينا.

قامت جينا بتشغيل اسطوانة لبيتهوفن ونامت علي انغامها ولم تدر بما حولها.

ثم استيقظت فجأة .. كان صوت حسام يرن بأذنها الحماس والشجاعة والمكر .. اعتدلت في فراشها وظلت تفكر لماذا لا اطبق تلك الخطوات علي نفسي فاول قصة حب يجب ان ابدأها يجب ان تكون حبي لنفسي وأتحمس لذلك واتخذ قرارات شجاعة في حياتي والمكر هو عملية تضليل لمن يسألني عن شئ في حياتي ولا أرغب في قول الحقيقة . تعالت اصوات السيمفونية . حبي نفسك جينا ولتكن أول قصة حب أعيشها هي حبي لنفسي وبعد ذلك ساستطيع أن احب احد.

جاء موعد المتابعة الخاص بشادن . ذهبت الي الدكتور فؤاد وسألها اذا كان الدواء الذي كتبه لها كافي فقالت : انه جيد ولكن البعض نصحني بهذا المهدئ .. واخرجت اسم المهدئ الذي تتناوله جينا ولمحته في غرفة نومها فقال لها الدكتور فؤاد : هذا ليس مهدئ انه مضاد قوي للاكتئاب ولن يفيدك لأنه يحتاج يكتب لمن يعانون من اضطرابات قوية ويصعب عليهم استعادة حياتهم الطبيعية.

نظرت له شادن بعمق وقالت: حقا؟ تقصد اني لن اتحمله؟

قال الدكتور فؤاد : سيضرك ولن تتحمليه . مشاكلك الحياتية ليست قوية بالدرجة التي تدمرك . انتي صغيرة بالسن ولم تواجهي بعد كوارث الحياة التي تجبرك علي ترميم نفسك بالمهدئات.

نظرت له نظرات متعاقبة . صادمة . ثم قالت فجأة:

- هل لك ابنة تدرس في معهد الموسيقي؟

نظر الدكتور فؤاد بتعجب وقال:

- لا . لا أعرف أحد يدرس في معهد الموسيقي.

قامت شادن وقالت وهي تهم بالخروج: اذن استمر علي هذا الدواء لمدة شهر ولكن عند اللزوم.

قال الدكتور فؤاد : بالضبط واذا حدث اي شئ قومي بزيارتي فورا.

- أشكرك يا دكتور.

خرجت من العيادة . انتظرت الاسانسير . ركبت الاسانسير ومازال كلامه يرن في أذنها . هل أخطأت ؟ هل عثرت علي رجل خطأ وهو ليس والد جينا؟ لا مستحيل . هو والدها أنا متأكدة .. ماذا يحدث ؟ انا ما عدت أفهم اي شئ.

في اليوم التالي توجهت للمعهد قررت ان تواظب لكن الامن منعها من الدخول لأنها مفصولة . أصرت علي مقابلة مدير المعهد واخبرته ان هذا قرار تعسفي ومخالف للوائح المعهد ولكن دكتور المادة دخل وقتها واخبرها انها متغيبة عن حضور التدريبات لأكثر من ثلاث مرات متتالية

فردت عليه : في تلك الحالة يجب ان تمنعني من حضور مادتك فقط وليس من حقك ان تفصلني كلية من المعهد.

بعد عدة مداخلات تم الغاء قرار الفصل واكتفي بمنعهم من حضور تدريبات مادته لمدة اسبوع . خرجت شادن من مكتب المعهد وجدت سيف يقف ينتظرها قال لها: ماذا فعلت؟ قالت : تم الفصل من مادته فقط . اتصل بكل من تعرفهم وأخبرهم حتي يعودوا الي المواظبة في الدراسة.

قال سيف: ماذا فعلت .. لقد تراجع بكل سهولة ؟

ردت شادن : قانون شادن يسري علي الجميع اما قانونه فلا يسري علي شادن . لم تعرفني بعد يا سيف..

أتصل حسام بجينا يريد ان يراها . جلسوا في الصالون:

- كيف حالك؟

بخير. وانت؟

- اشعر اني بأفضل حال . لم اخرج منذ كنت معك في الاوبرا.

وماذا فعلت وانتي تجلسين وحدك؟

- اذاكر ما اخبرتني به الحماس والشجاعة والمكر .. ولكن مع نفسي . قررت ان اجرب ان احب نفسي اولا.

عظيم . كيف بدات؟

- بدات بالحماس.

ماذا فعلت؟

- سأبدا.

ساخبرك .. الحماس هو ان تتحمسي لنفسك من خلال الاهتمام بصحتك وبمظهرك ورياضتك وغذائك واناقتك . هل فعلت شيئا من هذا؟

ليس بعد . فمازلت لا أتناول الا من ماكدونالدز . لا اجيد الطبخ ولم ادخل المطبخ مطلقا الا لعمل مشروبات فقط ولم أفكر في يوم أن اجرب . واحب ارتداء الكاجوال باستمرار ولا استطيع تحمل ارتداء عقود واساور

باستمرار ولا ارغب في السير بالكعب العالي الا في المناسبات فقط . اقصي ما يمكن فعله هو ارتداء ملابس كلاسيكية وليس دائما . بالنسبة للرياضة امارسها علي المشاية الكهربائية هنا في المنزل وجسدي لا يحتاج لاكثر من ذلك.

نظر لها حسام نظرة اعجاب واضحة وهي تعترف انها لن تستطيع تغيير نفسها بسهولة. ثم سألها:

- اين والداك يا جينا؟ ماذا يعملون ؟ كيف هم؟ حدثيني عنهم من فضلك.

أطباء. والداي اطباء . والدتي انا نقطة ضعفها وهذا أقصي ما يمكن ان اقوله عنها. والدي يحب التعليم والذكور اكثر من حياته كان يتمني ان اكون صبي وعندما جئت بكي حزنا ولم يتحدث مع امي لمدة شهر كامل علمني كيف يكون البؤس . علمني كيف ادفع فاتورة المهبل الذي ولدت به. تكيف مع الامر الواقع بطريقته الخاصة . ظل يعاملني علي اني ذكر. الرياضة التي اختارها لي الكاراتيه وحدثت مواجهات مع والدتي بسبب الكاراتيه هذا. فأنا وامي لا نحب العنف ولكن هو كان يفضل ذلك . كنت اسمع كلامه واطيعه ظنا مني ان ذلك سيجعله يحبني كانثي كفتاة ولكن . ظل يصر علي التعليم الزائد عن الحد هو لا يعلم ماذا فعل بي . وضعني في بوتقة التعليم المضاعف ولا راحة ولا اجازات ولا ترفيه .. لا شلل بنات او رحلات معهم . لم يكن يعلم اني لست في حاجة لكل هذا واستمر في ضغطي حتي اصبحت مثل الدلو الملئ بالماء ويفيض الماء من جوانبه . اخبرته اني متعبة ولن استطيع ان اكمل ما يريده أخبرني ان هذا هو الطريق الوحيد ليعترف بانني انثي كان يقايضني علي محبته .. ساءت الامور .. ارتبكت الاوضاع واصبح الوضع لا يحتمل وضغطه لا يحتمل والخطر لا يحتمل وكل شئ لا يحتمل.

- اي خطر ؟

اقصد خطر علي صحتي النفسية.

- هل كان يريد ان يجعلك طبيبة مثله؟

كيف عرفت؟

- عقلية كهذه لن ترضي الا بمهنة طبيبة.

نعم هو كان يريد . وليس كل ما يراد يتحقق.

- انفصلت عن الاسرة بسبب ذلك؟

نعم . لا اريد اعترافه بي فأنا أنثي شاء او ابي هذا هو الواقع.

- أنا أفتخر بك . ساتزوجك .. ماذا تقولين في ذلك؟

ابتسمت وخجلت.

ثم قال :كيف كنت ساتزوجك اذا لم تكوني فتاة .. والدك هذا مخطئ جدا.

اتصل سيف بجينا وأخبرها بانها اذا ارادت ان تاتي لتحضر محاضراتها فلتأتي لان قرار الفصل تم الغائه بعد ان اشتكت شادن لمدير المعهد ووجده قرار تعسفي وغير سليم قالت له: هذه اخبار جيدة . اذن نلتقي غدا.

كانت شادن في غرفة الالات الموسيقية مع زميلة لها عندما حضر سيف بصحبة زيزي التي كان من الواضح انها تحاول استفزاز شادن باي طريقة وكانت تستميل سيف في عزفها علي العود العربي وقاموا هما الاثنان بعمل دويتو غنائي وهي تنظر لهم باستهجان غريب . ثم غادرت الغرفة بعد ان حرقوا دمها.

ذهبت الي الكافتريا التي تمر عليها كل يوم وطلبت ليمون . جلست تفكر في امور كثيرة . وضعت السماعات في اذنها وتناولت الليمون في هدوء غريب ثم قامت وعادت الي منزلها . في المساء رن هاتفها كثيرا لكنها لم ترد . كان سيف.

رن جرس الباب في منزل جينا . كان عامل الدليفري . يبدو انه جديد في العمل فكل الطيارين يعرفون منزلها وهي تعرفهم . اعطاها طلبها وابتسم بشدة . اخذت منه الاوردر واغلقت الباب . وضعت وجبتها علي المائدة وشغلت التلفزيون وجدت قصاصة ورق بداخل الوجبة مكتوب فيها

Wellcome back … Gina

وضعت الساندويتش في علبته . لا احب هذا النوع من اللعب بالاعصاب

دخلت المطبخ فتحت الثلاجة لم تجد سوي فاكهة وعلبة جبن مغلقة . اغلقت الثلاجة وسحبت طبق الفاكهة الموضوع علي السفرة وجلست امام التلفزيون.

- من لديه شئ يريد ان يخبرني به فليخبرني بشكل مباشر.

ذهبت الي المعهد في اليوم التالي وقررت ان تواظب تقابلت مع سيف وزيزي كانهما اصبحا ثنائي . ثم تقابلت بعد ذلك مع شادن سلما علي بعضهما ببرود : هل اصبحت بخير؟

- نعم اشكرك علي السؤال.

ابتسمت شادن . جلست علي مقربة منها . جلس سيف وزيزي خلف شادن مباشرة وظلوا يتحدثون ويضحكون ولكن شادن لم تهتم حتي بالالتفات خلفها . لاحظت جينا التوتر الحادث بين ثلاثتهم ولكنها لم تركز . بعد انتهاء المحاضرة ذهبت للكافتريا ولأنها لم تتناول سوي الفاكهة منذ امس كانت جائعة فطلبت اثنان برجر بالجبن . كان جالس امامها يدخن سيجارة. ملامحه اجنبية . توقفت عن الاكل هو يحدق بي منذ فترة وانا لم الاحظ .. ظل يخرج دهان السيجارة من انفه وفمه ولم يرفع عينه عنها لم تهتم به بل استمرت في المضغ وطلبت كولا اضافية.

يجب ان اهتم بغذائي وصحتي كما هو مقرر في الحماس . انا ابلي بلاء حسنا يا حسام . ظل الشاب محدقا بها واخرج سيجارة اخري . اخرجت رواية روميو وجولييت وبدات تكمل قراءة فيها . حتي لا تنظر في وجهه.

دخلت شادن مسرعة في عصبية ودخل ورائها سيف قالت له:

- فهمت .. واشكرك علي كل ما مررنا به وأعدك اني لن ازعجك مرة اخري.

ظل واقفا امامها لحظات كانه ينتظر ان تقول شئ اخر لكنها لم تفعل.. فخرج من الكافتريا.

رفعت جينا عيناها من الرواية كانت جملة شادن بمثابة اعلان وفاة للعلاقة التي كانت بينهم . اذن هو وزيزي سيكملان مع بعضهما . غريب .. كيف حدث هذا الانقلاب الفجائي بينهما .. أي حب هذا ؟

كانت شادن تضع السماعات في اذنها وتشرب كولا .. نظرت لها جينا بحذر . انها مجروحة وتحاول ان تتظاهر انها بخير.

عادت لتكمل قراءة الرواية ثم رفعت عيناها مرة اخري لتجد الشاب مازال محدقا بها ومازال يحرق التبغ بين اصابعه.

في المساء لم يتوقف هاتف شادن عن الرنين.

امسكت ورقة وقلم وبدات تكتب أغنية وصفت فيها كبريائها المجروح . بعثتها بالواتس لزميلها الذي يعمل موزع موسيقي فاخبرها انها جميلة وسيعثر لها علي مطربة تغنيها وشجعها لكي تستمر في تأليف اغاني.

شعرت بالحماس فقامت بتأليف اغنية اخري وارسلتها له ايضا.

بعد شهر وجدت الاغنيتين اللتان قامت بتأليفهما ظهرا اغاني سينجل لمطربين شابين. كانت في المدرج تحضر محاضرة وكالعادة تصمم زيزي علي الجلوس خلفها مع سيف الذي اصبح من الواضح انه صاحب شخصية سلبية بامتياز. استشاطت غضبا من صديقها الموزع الموسيقي واتصلت به لتوبخه. قال لها: الاغاني تم حذف الكثير منها حتي تتناسب مع ايقاع العصر. قالت بحدة: ليس هذا ما يغضبني وحسب لكن الاغاني نسائية وكانت ستكون اجمل اذا غنتها مطربات وليس مطربين. ضحك صديقها وقال لها: انتي عنصرية ومتحيزة لبنات جنسك .. قالت: كانت هذه اول مرة اسجل فيها شئ يصف تجربة مؤلمة في حياتي وكنت اتمني ان تؤديها فتاة مثلي ولكن ماذا افعل في مجتمع مريض لا يتحمل البطولة النسائية حتي لو كانت بطولة في اغنية او قصة او فيلم.

شادن . صرخ فيها الدكتور أثناء المحاضرة .. أخرجي ولا تحضري الا بعد ان تحترمي الحضور هنا . اخرجي.

كادت ان تبكي . ثم حملت حقيبتها وخرجت . ظلت زيزي تضحك عليها.

كانت جينا تشاهد ما يحدث . والشاب صاحب الملامح الاجنبية مازال يراقب جينا خرجت شادن وكانت قد اتخذت قرار بانها لن تعطي هذا الموزع اي اغاني مرة اخري . فبدلا من ان يساعدها زاد وجعها واعطي الاغنية لرجال ليغنوها.

أخذت قرص مهدئ .. قال لها الطبيب قرص وقت اللزوم . اعتقد ان هذا وقت اللزوم . مجتمع ذكوري مريض.

بعد انتهاء اليوم خرجت جينا تبحث عن شادن لم تجدها . وجدت حسام يشير لها واخذها معه الي المطعم ليتناولوا الغداء معا. وظلوا يتناقشون في رواية روميو وجولييت ثم قالت له : خلاصة القول الحب أفعال وليس كلا.

ظل الشاب ذو الملامح الاجنبية يراقب جينا من خارج المطعم ويدخن سيجارة.

كان يريدها ان تراه . احساس انها مراقبة هذا سيجعلها تضعف . لكن جينا لم تخف . احساس الخوف لم يعد يتملكها كما السابق وكان هذا يعود لأنها في وطنها وعلي ارضها . خرجت من المطعم مع حسام وجدت الشاب ذو الملامح الاجنبية ينظر لها مع السيجارة رفيقته الدائمة كان حذر حتي لا يراه حسام فهو يعرفه جيدا وبينهما صداقة.

مساء . تذكرت شادن . كانت لديها رغبة في الاتصال بها . لكنها لم تفعل . كان هاتف شادن لا يكف عن الرنين مساءا وهي لا ترد . زاد احتقارها لسيف بعد ما حدث من الموزع الموسيقي صديقها . سيف بدون ان يشعر اصابها بالغثيان من العلاقة لكن ما ترتب علي ما فعله هو لا يعلمه هو يجرحها اكثر من فشل العلاقة نفسها.

في لندن. رن جرس الباب . استيقظت جوري فجاة الساعة الخامسة فجرا. من يا تري . اسرعت لتفتح الباب هرولت وقعت علي الارض قامت بسرعة كانت مفزوعة وجدت سيدة انيقة تحمل حقيبة ملابس ابتسمت لها . بلعت ريقها بصعوبة . انا والدة جينا . أين هي ؟

- تسمرت جوري في مكانها. والدة جينا. جاء يوم كانت تؤجل قدومه.

حسنا. تفضلي.

- أين جينا؟

تفضلي بالدخول.

دخلت في حذر بعد ان اختفت ابتسامتها قم قالت: اين جينا؟

ظلت جوري تفكر . نقص النوم سيجعلها تعترف بكل شئ بسرعة.

- اخبريني أين جينا ؟

اجلسي وسأخبرك بكل ما حدث علي ان يظل ما حدث سرا بيننا لا يعرفه احد وبالذات والدها.

جلست والدة جينا علي الكرسي وقالت : ماذا حدث؟

لم أتعرف علي جينا الا منذ ثلاث أعوام بعد ان انهيت أوراق لجوئي شاركتها في هذا المنزل .. كانت تدرس الطب في الجامعة ثم تذهب الي دكتور تشاو مينج الذي كان يدير مركز بحوث هو طبيب صيني يمتلك مركز للبحوث الطبية والدوائية يحب ان يستقطب اللاجئين والشباب العربي الذي اتي هنا ليدرس وقال ان حجته في ذلك ان الشباب اللاجئ يحفر في الصخر حتي لا يتم ترحيله الي بلده مرة أخري فيجتهد ويثبت كفاءته فيخترع اشياء ويتقدم في فروع العلم المختلفة وكان يستحوذ علي اي شخص يبتكر اي شئ لنفسه ويهتم به ويغدق عليه بالاموال حتي يحفزه علي ان يظل يحتكره حتي يصفي عقله تماما . كانت جينا مجتهدة خوفا من والدها والتزامه الشديد في ان تكمل تعليمها بتفوق وليس استكمال تعليم فقط. كنا نساعده في بعض أعمال مركزه من خلال بعض التجارب التي تخص امراض الوراثة والجينات. وفي احد الايام قامت جينا بتجريب خوارزمة وسجلت خطواتها. كانت هذه الخوارزمة تخص الجينات الوراثية وقامت باستخدام معايير ومقاييس معينة للخوارزمة اذا تم تطبيقها سيتم احداث تغيير في الجينات الوراثية لأي انسان كانه انسان أخر. انبهر الدكتور تشاو بمقاييس الخوارزمة ووجدناه يحفزها علي اكمال الخوارزمة بسرعة حتي تحول تحفيزه الي ضغط وتحول الضغط الي تهديد. كان للدكتور تشاو صديقة تدعي جاكلين ريس هي التي كانت تحرضه علي استعجال جينا وفي يوم اكتشفت ان جاكلين هذه كانت تعمل لدي استخبارات امريكية وكانت متواجدة في حرب العراق. رتبنا اوراقنا انا وجينا فعلمنا انهم يحتاجون لتلك الخوارزمة لتطبيقها في مراكز بحوث اكبر وأعلي بكثير ثم سمعت الدكتور تشاو يتحدث معها عن ان ذلك سيجعلهم يسيطرون علي جيوش الارض. لا اعلم ماذا سيفعلون بتغيير الجينات وما علاقتها بسيطرتهم علي الجيوش في العالم . وفي يوم كان

حبس جينا داخل المركز لتنهي خوارزمتها وكانت المسكينة تسف حبوب القهوة حتي تعلي تركيزها ليجعلها تخرج من المركز وفي احد المرات هددها اذا خرجت من باب المركز ستجد كلب شرس ينتظرها بالخارج فكانت تجلس بالمركز وتبكي واتصلت بوالدها أكثر من مرة طلبت منه ان تعود لبلدها ثم تكمل فيما بعد لكنه للاسف زاد من بؤسها وانت تعلمين كيف كان يحدثها . اصبحنا انا وجينا متأكدين ان الخوارزمة ستستغل أسوأ استغلال ولكن الذي اوضح الامر أكثر هو ان الدكتور تشاو كان ينوي تصنيع اقراص مكونة من المواد التي سجلتها جينا في الخوارزمة .. وسيتم تصنيع هذه الاقراص علي انها لتحفيز الطاقة للجيوش والجنود وسيتم تسجيل مكوناتها علي الغلاف الخارجي لكن حقيقة هذه الاقراص تساعد علي تحويل الجينات وتغييرها حتي يصبح الشخص بعد فترة من تناول الاقراص مختلف عن باقي الاسرة ما الذي سيستفاد من ذلك ؟ لا اعلمه ربما سيتم مقاضاة بعض قادة الجيوش او اتهامهم بالخيانة او احداث خلل ووقيعة بين مكون الجيش الواحد . لا أعلم . ولا أحد سيعلم او يفكر في تحليل مكونات هذه الاقراص نظرا لعدم توفر مراكز لتحليل مثل هذه الادوية المصرح بها صحيا الا في اماكن معدودة وهم يحاولون السيطرة علي المراكز التي تعمل في مجال صناعات الادوية علي مستوى عالمي حتي لا يكتشف احد الامر.

كان ينتظر جينا بعد خروجها من الجامعة ويصطحبها الي المركز او بمعني ادق يخطفها جبرا ويحبسها داخل المركز . كان من الواضح انه سيتخلص من جينا بعد ان ياخذ خطوات الخوارزمة كاملة وبعد ان يتأكد من نجاحها بعد تجريبها . منذ عام وثمانية اشهر قررت جينا ان تتخذ موقف تنقذ حياتها وحياة الكثير من الناس التي سيتم ايذائها . ذات يوم لم تعد تهتم بكلابه الشرسة رغم انها اصبحت تصاب بكوابيس في منامها بعد ان هجم عليها الكلب ذات يوم ولكنها بعد ذلك لم تعد تحتمل المنبهات الزائدة التي كادت ان تقتلها .. توقفت ذات يوم امام احد عازفي البيتلز علي احد الارصفة . وظلت تستمع له وهو يعزف ويغني ثم تقدمت منه لتعطيه مال علي عزفه واعطته ورقة . قرا ما بها .. طواها .. هي لا تعرفه .. هو لا يعرفها . في اليوم التالي ذهب وحجز لها علي اقرب رحلة متجهة الي القاهرة وبعدها بيوم انتظرت حتي انتهي من فقرته التي يؤديها للمارة

وصفقت له واقتربت منه واعطته مبلغ مالي واعطاها التذكرة. وضعت الباسبور والتذكرة في حقيبة علي ظهرها وفتحنا التذكرة في المنزل كانت مساء اليوم التالي في الثانية بعد منتصف الليل قررت ان تعطي والدها فرصة اخيرة اتصلت به لتخبره أنها تريد العودة لكنه لكمها بالكلمات في الهاتف مما جعلها تصرخ في الكابينة تبا لك وللذكر الذي تريده . وظلت السماعة معلقة . خرجت من الكابينة تبكي . وتقول : لم يرحمني . ولم يفهمني . سيقتلني بغبائه وقسوته.. فقررنا ان نطبق الخطة البديلة وهو ان نحتفظ بالسر لنا أنا وهي فقط وقامت باعطائي بطاقتها المصرفية بعد ان سحبت منها جميع المبلغ عدا مبلغ بسيط في الحساب واتفقنا علي ان اقلد صوتها عندما احدثك من خلال تغيير الصوت بواسطة أحد البرامج . وفي الليلة الموعودة ارتدت شبشب وذهبت للدكتور تشاو في المركز واخبرته انها مريضة وتعاني من الالام مبرحة بسبب الدورة الشهرية علي ان تظل عاكفة في المركز ثلاثة ايام تنهي فيها كل شئ يخص الخوارزمة علي ان يعطيها مكافاة كبيرة . اقتنع الدكتور تشاو مينج وصدقها . حملت حقيبة ظهرها التي تذهب بها الي الجامعة وشبشب ارضي وشورت جينز مع قميص برتقالى وخرجت من مركز الدكتور تشاو .. انتظرتها بعد المركز بشارعين وسرنا الي المطار سافرت هي واكملت أنا باقي الخطة.

أشعلت جوري سيجارة. ثم قالت: سأعد قهوة .. تشربين معي؟

واضح انك تحتاجين قهوة مثلي. دخلت المطبخ لتعد قهوة بينما دخلت والدة جينا الي غرفة النوم .. فتحت الدولاب وجدت ملابس جينا كلها. ماكياجها. عطورها. وقفت جوري بفنجان القهوة علي باب الغرفة وقالت:

لم تأخذ سوي الانسيال الذي اهديتها اياه بعد حصولها علي الثانوية والصورة الشخصية التي تجمعك بها. هي تعلم جيدا كم تحبينها.

- لماذا لم تتصل بي وتخبرني؟ كنت ساتصرف . لهذه الدرجة كنت بلا قيمة في نظرها؟

ووالدها؟ كيف تجعليه لا يعلم بأي شئ ؟

- كنت سأقوم بحمايتها بأي طريقة..

ومن يطلبها هنا بالطبع تحري عنها وكان يراقب مكان نشأتها . لم تفهمي بعد خطورة الموقف.

- لا. انا افهم جيدا. ولكن الذي لا أفهمه كيف لشابة مغتربة من خمس سنوات وعند عودتها لبلدها لا تعود الي منزلها. الي والدتها. الي مكان نشأتها.

لم يكن الامر سهل عليها ان تعود بالملابس التي عليها وتختبئ في منزل لا تعرف فيه احد. ولهذا اتصلت بوالدها قبل سفرها بساعات حتي تعطيه فرصة لمراجعة قراراته ولكنه صدها . ولي الامر القاسي يحول منزله الي خراب . تأثيره علي اسرته لا فرق بينه وبين تأثير الحروب وما تتركه من دمار . اذا فكرتي قليلا ستجدين ان وضعي انا وجينا هو نفسه . انا لاجئة هاربة من بلدي بعد هدم منزلي وموت أسرتي ولم يعد لي أحد ولا أستطيع العودة لأسباب كثيرة لا بيت لا أسرة لا وطن . وجينا نفس الامر والدها يمنعها من الرجوع وعندما عادت . عادت بلا بيت وبلا أسرة وبلا وطن . فعندما أعود لبلدي سأعود بنفس الطريقة التي عادت بها جينا مختبئة من القتل . كثيرا يمر أمامي فتيات مثلنا يعيشون قصص حب يضحكون يمرحون . كنت أسأل نفسي دائما ماذا فعلنا نحن حتي نستحق كل هذا؟

قالت جوري لكي تنهي الحديث: بامكانك النوم قليلا . .. فانا لم أنم ولدي مواعيد هامة صباحا. الغرفة غرفتك.

قالت والدة جينا: لم أصدق أحد عندما أخبروني انهم راوا جينا في احد المطاعم في القاهرة. لم أصدقهم رغم اصرارهم علي انها هي. شككت في الأمر. ولهاذا جئت فجأة.

ضحكت جوري وأغلقت باب الغرفة. وهي تقول:

- نكمل حديثنا بعد ان أنام قليلا. صباح مشرق.

كانت شادن جالسة تكتب بعض الملاحظات في المدرج وكان معها عدد قليل من الطلبة. وضعت القلم الفوشيا ومدت يدها لتلتقط القلم الفسفوري لتلون بعض الفقرات فقام بخطفه منها.. رفعت عيناها. سيف. قال وهو يمسك بالقلم:

- أتمني ان تزعجيني.

خطفت القلم منه وواصلت عملها كأنها لم تسمع شيئا . جلس قبالتها وظل محدقا بها ثم قال: أشعر بفراغ كبير في حياتي بدونك لم أكن أعلم أنك مسيطرة لهذه الدرجة.

وضعت القلم ومسكت الورقة تتأملها وجدتها ملائمة لما تريده . ثم نظرت له وقالت:

- ماذا تريد؟ حسنا. تشعر بفراغ. هذا لأن زيزي غائبة اليوم ولولا ذلك لما كنت تشجعت وجئت تجلس معي وتتحدث.

اتصل بك كل يوم ولا تردي. فماذا أفعل؟ وزيزي لا يمكن ان تتدخل فيما بيننا لا عبر الهاتف ولا حتي هنا.

- معك حق. لكل واحدة مننا منطقة خاصة لا تتعداها الاخري.. سيف. أنا لم أنم منذ أن جعلتني أشعر بأني لست كافية لك. ما أصعب ان تفعل كل ما بوسعك للطرف الذي تحبه ثم تكتشف انك في نظره لست كافي. واذا كانت زيزي جعلتك تعوض الناقص عندي فأنا لن أرضي ان اكون هكذا في نظرك . وللعلم انت لم تسأل نفسك هل انت كامل في نظري؟ ام ان غرورك اعماك لا تري الا نفسك فكثيرا ما كنت أتغاضي عن بعض أفعالك لأنه لا يمكنني ان اعوض بعض نواقصك بمعرفة رجل اخر.

انها صداقة بريئة. لقد تغيرت كثيرا يا شادن منذ ظهرت جينا. تغيرت وأصبحت كلما تحدثت معك تقولين لي انت لا تعرفني. فبدلا من ذلك اشرحي لي وأنا سأفهم.

- لا يمكن ان يعوض أحد مكانك في حياتي لا تعبسي في وجهي مرة أخري. لا أتحمل ذلك. وتواضعي معي قليلا وتحملي غبائي في بعض الامور التي لا أعرفها فأنا لم أحب فيك سوي عزة نفسك حتي بعد ان شعرت بأن زيزي أخذت مكانك في قلبي قررت الابتعاد. لست من النوع الرخيص الذي يراوغ ويمكر من أجل معركة علي رجل. أنا أحترمك بشدة وسأظل كما انا سيف الذي تعرفيه لم يتغير.

هل انتهيت؟

- نعم.

وانا كذلك..

استيقظت والدة جينا من نومها وخرجت من غرفتها وجدت جوري تاركة لها استيك نوت مكتوب عليها سأعود عند الخامسة استمتعي بيومك جيدا الخبز في الميكروويف والثلاجة بها أطعمة وفاكهة والقهوة في ترمس . جوري

كانها كانت في كابوس ليلة أمس لم تستوعب بعد كل ما حدث وكل ما سمعته ولكن الملاحظة التي تركتها جوري جعلتها تتاكد انه لم يكن كابوس. خرجت الي البلكونة وقفت تتأمل العصافير.. تذكرت المكالمات التي كانت تأتيها ولا تسمع صوت أحد. العصافير تنظر لها. وجه جديد. تذكرت اصرارها علي ان من رايتموها ليست جينا.. العصافير تغرد بصوت مرتفع .. تذكرت وجه زوجها العابس وهو يقول لها: جينا تصرخ في وجهي لقد فقدت أدبها وتقول لي: تبا لك وللذكر الذي تريده. كانت هذه آخر مكالمة جرت بين جينا ووالدها.

وجدت هاتف يرن . لقد نسيت جوري هاتفها هنا . وجدت اسم تشاو مينج . لم ترد علي الهاتف فمن الافضل ان ترد جوري عندما تعود.

تحدثت جوري مع جينا وأخبرتها بما حدث . فقالت لها جينا من الافضل ان تجلس معك فترة فعودتها بعد سفرها بيوم واحد سيلفت الانظار . كما ان هناك من ترك لي رسالة بعلمهم بمكاني عبر الدليفري الخاص بماكدونالدز . لكن جوري أكدت لها ان تشاو مينج لا يعلم بمكانها ولكن جينا أكدت لها ان هناك طرف يعلم وطرف آخر لا يعلم وهي تشعر بالتخبط الآن .. توقفت جوري عن الكلام ثم قالت بعد تفكير : لقد بدأت أشعر بالقلق حيالك . والدتك هنا معي وسأجعلها تؤخر سفرها عدة أيام حتي تفكري وتخبريني بما يجب أن نساعدك به أنا وهي . ردت جينا : حسنا فهذا أفضل . ولكن لابد ان تقطع وعدا بان والدي سيكون خارج الموضوع برمته.

انتهت المكالمة. وانتهت معها مرحلة لتبدأ اخري.. والدتي علمت. هل هذا امر ايجابي؟ أم أنها ستتشارك السر مع من تسبب فيما وصلنا له؟ أعتقد أن

والدتي متعقلة وستستوعب ما يدور حولها. فأنا لست مستعدة لمواجهة حرب لا الآن ولا بعد ذلك.. وتبقي مشكلة عالقة هنا ألا وهي مشكلة الانفاق ايجار الشقة التي أسكن بها مرتفع والمبلغ الذي كانت تحوله أمي يجعلني أشعر بالراحة نوعا ما اذا أنفقته هنا فالمقارنة بين الدخل وظروف المعيشة تختلف اختلاف شاسع بين لندن ومصر والآن ستستقطع أمي من المبلغ وسيتأثر وضعي لأن والدتي لا تعلم أن جوري تقتسم معي المال. ماذا ستفعلين يا جينا. أنا أعلم جيدا أن جوري لن تبيعني ولكن الحذر أمر واجب يجب أن أجعلها راضية عن مساندتها لي والمال يعطي احساس بالأمان أكثر من أي شئ آخر فرصيدها الذي توفر فيه سيحميها عندما ينقلب عليها تشاو مينج ويكتشف أمرها أما الصداقة فلن تنفعها بشئ اللهم الا اذا عادت عليها براحة الضمير عندما تضع رأسها علي المخدة لتنام.. ركزي يا جينا. يجب حل الأمور بطريقة ترضي جميع الأطراف ويجب أن يقتنعوا بذلك.

دخلت الهايبر ماركت أشترت صدور فراخ بانيه ومكرونة وصلصة وفاكهة وعاهدت نفسها علي أن تتعلم تصريف أمورها وعدم الاقتراب من ماكدونالدز مرة أخري واشترت كتاب للطبخ . أنا أعترف أني أنثي ولكني فاشلة في شيئان مهمان الطبخ والغناء ولكني أجيد أشياء أخري مثل الصمت والانعزال والتفكير بعمق. حسنا جينا لنبدأ في تعلم كيفية صنع المكرونة أولا ربما تنجحين ويعلو رصيدك في في الأشياء التي تتقنيها.

في اليوم التالي في المعهد عادت زيزي وعلمت أن سيف جلس مع شادن وتحدث معها فغضبت فذهبت لكي تتشاجر معها دون أن تعلم محتوي الحوار الذي دار بينها وبين سيف. كانت شادن مريضة فهرولت الي الحمام. فظنت زيزي أن شادن خافت من مواجهتها. أفرغت شادن كل ما في معدتها وظلت واقفة في الحمام تعيد اصلاح ماكياجها سمعت بيتر يتحدث بالانجليزية ويقول : هي تتجنب اي طريق نتقابل به سنجد صعوبة كبيرة في التوصل الي ما نريده منها. اعتقد أن العتف والترهيب سيكون فعال ولكن ليس قبل استخدام الاغراء .. عرض سخي يجعل جينا تقبل بتكملة الخوارزمة. سأقوم بعرض الأمر عليها ولكن أولا يجب أن أبحث عن افتتاحية مناسبة لاقناعها وتقبل الأمر.

وضعت شادن يدها علي فمها. وظلت بلا حراك حتي ابتعد بخطوات حذائه. من هذا؟ . يتحدث الانجليزية. وهنا في المعهد . من يكرن هذا؟ هذه هي الحلقة المفقودة في موضوع جينا. فتحت باب الحمام بحذر شديد. أعتقد أنه أبتعد. صرخت مفزوعة لأنها وجدت زيزي تنتظرها خارج الحمام من الباب الثاني جرت ورائها:

- اذا كان سيف استغل غيابي وذهب ليجلس معك ويتحدث معك فلا تعتقدي أن ذلك معناه أنه سيعود لك. استفيقي.

سارت شادن مسرعة حتي تبتعد عن استفزازات زيزي ولكن زيزي أعتقدت أن ذلك خوف منها فمدت يدها فصرخت شادن مرة أخري وقالت لها: ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ هل جننت؟

دخلوا المدرج فصمت الجميع وظلوا ينظرون لهم كان من الواضح أن معركة حامية دارت بينهم في الخارج. جلست زيزي بجانب شادن لتكمل حديثها فقالت لها شادن من تحت الضرس: قسما بالله اذا لم تبتعدي سأجعلك عبرة.

قالت زيزي: سيف لي وكل ما كان بينكم تنسيه تماما وهذا تحذير

قالت شادن: حسنا. هو لك. دعيني وشأني الآن.

تركتها زيزي وهي ترمقها بنظرة حقد مؤججة. من أين ظهر كل هذا؟ هل كانت تخفي حبها طوال تلك الفترة وعندما واتتها الفرصة أقتنصتها؟

تناولت شادن قرص دواء. كانت أمعائها تتمزق. لم يكن يومي هذا علي الاطلاق. الشئ الايجابي الوحيد هو العثور علي حلقة مفقودة في حياة جينا الغامضة. ظلت تسترجع ما قاله الصوت الذي سمعته. عرض سخي واذا رفضت سيستعمل العنف. يريدها أن تكمل خوارزمة.. لكن. من يكون هذا الشخص؟ بعد ما وصلت له من نتائج خطيرة فليس معي سوي صوت فقط ولا أعرف صاحبه ولكنه يتقن الانجليزية. أغلب من في المعهد يتحدثون الانجليزية. انجليزيته كانت بريطانية واضحة. ظلت تنظر في وجوه الجميع. كلهم زملائنا نعرفهم من العام الماضي. ركزي يا شادن هو هنا. التركيز مع هذه الالام المزمنة في المعدة مستحيل..

جاءت أحد زميلاتها لتجلس بجانبها وتعرف ماذا حدث بينها وبين زيزي : هل تشاجرتم؟

قالت شادن: زيزي تحولت أصبحت شديدة الحساسية تجاهي.

- ماذا حدث بينكم لتصل الأمور لهذا الحد؟ بامكاني أن أصلحكم مع بعضكم البعض اذا رغبت يا شادن.

لا أريد.. أنا أستوعب جيدا ما تمر به زيزي. عندما تتعلقين بأحد تبنين آمالك العريضة علي هذا الحب. هذه الآمال هي التي تجعل الشخص شرس في محاولته للدفاع عن آماله التي بناها ومستعد للهجوم علي أي أحد يقترب من آماله. أنا مررت بذلك بعد أن أخبروني بأن جينا ستؤدي بدلا مني مع سيف وشعرت بالغضب والغيرة ولكن بعد ذلك أكتشفت أنه لم يكن هناك داعي لكل هذا وقمت أنا بهدم آمالي علي سيف ولأني هدمت كل شئ فلست متمسكة به.

- اذا كنت كذلك فيجب أن تتصافحوا وتنهوا طريقة التعامل الحادة التي بينكم.

أنا غير مستعدة لدخولهم في حياتي مرة أخري. من فضلك أخبريها أن تظل بعيدة. هذا هو كل ما أريده.

- أنت بعيدة عن جينا رغم أنك تعلمين كم هي مهذبة وجيدة وخسرت سيف وزيزي. ماذا أيضا يا شادن. ستخسرين من بعد ذلك؟

سيف تسبب في اهانتي ولم يعتذر وزيزي اهانتني وتتعمد مضايقتي وهو يعرف ولم يرد اعتباري. اذن هما الاثنان خسارتهم مكسب لي. أما جينا فلها حق عندي وسأعطيها اياه في الوقت المناسب.. ولكني الآن في تلك الفترة بالتحديد أشتهي بشدة أن أكون وحدي.

- خذي وقتك يا شادن. وعودي كما كنت في أسرع وقت.

مر يومان ولم تتصل جينا بجوري لتخبرها بما ستفعله. مازالت والدتها تجلس في المنزل مع جوري. في أحد الجلسات مع والدة جينا سألت جوري:

- كيف تعرفت علي تشاو مينج هذا؟ وكيف تعرف علي جينا؟

أخبرتني جينا أن تشاو تعرف عليها عن طريق صديق والدها دكتور فيليب وأخبرتني أن الدكتور فيليب هو الذي كان يشجع والدها علي فكرة أن تدرس الطب هنا.

قالت والدة جينا: هذا حدث فعلا.. ماذا حدث بعد ذلك؟

عندما جاءت جينا الي هنا كانت صغيرة لا تفهم الكثير من الأمور. في بلد غريبة. بعد أن جلست معها شهر وتركتيها وحدها بدأ الدكتور فيليب في زيارتها باستمرار وبدأت تخرج معه وعرفها علي العديد من أصدقائه الأطباء وكان منهم تشاومينج.

- تقصدين أن الدكتور فيليب هو من عرفها عليه؟

نعم.

- وأنت؟

تعرفت عليه عن طريق الدكتور فيليب أيضا. فهو الذي ساعدني في انهاء اجراءات لجوئي واستكمال دراستي للجراحة.

- ولماذا كان تشاو مينج يوطد علاقته معكم؟

أعتقدنا أنه يفتقد أبناءه فيعاملنا كأننا أبنائه.

- وأين هم أبنائه؟

يقول أنهم مسافرون

- أين؟

لا أعلم.

- أتصل الدكتور فؤاد بوالدة جينا يسأل عنها وعن جينا. أخبرته أن كل شئ بخير وجينا تستعد لانهاء دراستها وأخيرا قالت أنها ستعود خلال أيام.

كانت جوري تقف عند باب الغرفة استمعت – غير متعمدة- الي المكالمة. شعرت بالراحة أن والدة جينا أستوعبت الموقف.

أتصلت جينا بجوري في تلك اللحظة هرولت الي الهاتف:

- جوري. كيف حالك؟

بخير. وأنت؟

- جيدة. أريد التحدث الي أمي.

حسنا.

مدت الهاتف الي والدة جينا وقالت:

- تريدك.

أخذت والدة جينا الهاتف. وضعته علي أذنها:

- أمي.. أريد أن نلتقي فور عودتك. أنا في الدقي. لم أستطع أن أسكن في مكان غير ملائم ولست معتادة علي الاختلاط بأحد. عندما تصلين الي مصر وتقفين عند فرع ماكدونالدز الدقي.. هناك أتصلي بي وأنا سأنزل وأخذك.. هناك شئ آخر يجب أن تعلميه. وسيلة تحويل المال ستظل كما هي عن طريق جوري. لا تغيري أي شئ وأتمني أن تظل الحصة النقدية كما هي لأن الايجار هنا مكلف.

كيف حالك؟ كيف تعيشين.. ماذا تفعلين...؟

- عندما تعودي سنتحدث يا أمي.

أنتبهي علي نفسك

- من فضلك أعطيني جوري.

جوري. أنها تطلبك.

- ألو. جوري. لا تخافي. لن تقلل المال الذي سترسله أخبرتها أن هذه الوسيلة الأفضل لكي أظل بأمان. لا تقلقي. سأظل بجانبك حتي تنتهي دراستك وتخرجين من هناك. لن أتركك.

أشكرك جينا. كنت خائفة أن تتركيني وتتخلي عني.

- لا تبكي. لا تخافي. لن أتركك.

أغلقت الهاتف. حسنا ما فعلت يا جينا. جوري ليس لديها ما تخسره. خسرت عائلتها وأسرتها ومنزلها. الخوف كل الخوف من الذي ليس لديه

ما يخسره فلو باعتني لن تجد أب تشعر بالخذلان أمامه علي ما فعلته. ولن تجد أحد يخبرها أن ما فعلته خطأ. فقدت الوصاية من الكبير وفقدت الخوف من الأكبر منها.. في جميع الأحوال لن يلومها أحد اذا خانتني. لكني يجب أن أحافظ لها علي الجزء النقي الأصيل الذي بداخلها حتي لا تخسره.

دخلت والدة جينا غرفتها. اذا كان الدكتور فيليب هو الذي أوصل جينا الي تشاو مينج فمعني ذلك أن تشاو مينج أخبر فيليب بأن جينا أختفت ومعني ذلك أن الدكتور فيليب أخبر والد جينا أنها أختفت. لكن عدم معرفة والدها حتي الآن ليس له سوي معني واحد هو أن تشاومينج لم يخبر الدكتور فيليب باختفاء جينا ومعني ذلك أن ما يفعله تشاومينج لا يريد أن يعرفه الدكتور فيليب.

لفتت شادن الأنظار عندما دخلت المعهد علي سكوتر. توجهت الي غرفة الآلات الموسيقية. كان عندها عملي طوال اليوم.. ظلت في غرفة الموسيقي قرابة الساعتين عندما صرخت ووقعت مغشيا عليها.

تجمع حولها مجموعة من الزملاء وساعدوها علي استعادة وعيها. قدم لها شاب أشقر قرص دواء وقال: خذي هذا. مطهر معوي. واضح من ملامحك أن لديك مشكلة في الأمعاء.

أخذت القرص من الشاب الأشقر وقالت: كيف عرفت؟

- من شحوب وجهك. من الأفضل أن تذهبي الي طبيب بعد المعهد.

سأفعل.

تناولت القرص وشربت جرعة ماء. ثم قالت: من أنت؟ لم أراك من قبل هنا؟

- أنا بيتر. زميلكم كنت معكم من العام الماضي ولكني لم أكن منتظم.

شكرا بيتر.

قالت لها أحد زميلاتها مداعبة: أحدكم حسدك علي الاسكوتر الجديد.

ابتسمت شادن بصعوبة. وضعت الجيتار الخاص بها في الحقيبة وحملته علي ظهرها وانطلقت بالاسكوتر وذهبت لأحد الأطباء وطلب منها بعض التحاليل والأشعات.. غابت عن المعهد في اليوم التالي حتي تنهي جميع الفحوصات وذهبت للطبيب ومعها نتائج التحليل والأشعة. نظر لشادن وقال:

جئت وحدك؟

- نعم

وضع التحاليل في الظرف الخاص به ثم قال:

- سأعطيك بعض الأدوية الخاصة بالتهابات الأمعاء. تتناوليها لمدة اسبوع ثم تأتي لأري النتيجة.

عادت الي منزلها وفي المساء أتصل بها صديقها الموزع الموسيقي وسألها اذا كانت كتبت أغنية جديدة ولكنها عاتبته علي ما فات فقال لها:

- قمت بشراء الاغنيتين السابقتين منك. بمجرد أن أصبحوا معي فأنا لي مطلق الحرية في منحهم لأي شخص أجده مناسب. السوق يا شادن يطلب مطرب معين ولا يمكن أن أقوم بتفصيل أغاني علي مطربة ثم تخبرني بأنها لا تحب أن تغني هذا اللون وتفضل اللون الخفيف الذي يساعدها أكثر في اظهار حركاتها الجسدية وأنوثتها.

لكنك لم تعرضها علي أي مطربة. فأنت لم تفعل من الأساس.

- نعم لم أفعل. لأني أعلم كيف يدار السوق الغنائي.

وأنا ليس عندي أي أغاني جديدة.. مع السلامة.

خرجت والدة جينا للتسوق من لندن. ذهبت لتشتري عدة قمصان رجالي لزوجها وعدة أطقم نسائية وأشترت لجينا حقيبة ماكياج وفستان سهرة أبيض رقيق وحذاء أبيض.. عادت الي المنزل وأخبرت جوري أنها ستسافر غدا قامت جوري باعداد مائدة طعام مميزة خصيصا لوالدة جينا فهي تعلم أنها لن تلتقي بها مرة أخري.

عادت من المطار الي منزلها وتركت حقيبة في السيارة لم تأخذها معها الي المنزل حتي لا يراها زوجها..

دخلت المنزل لم تجد زوجها. بالطبع يقوم ببعض العمليات.. ذهبت مسرعة الي مكتبه فتحته. نظرت نظرة شمولية للمكتب.. ثبتت عيناها علي الخزينة السرية قامت بتحريك الأرقام وفتحت الباب. وجدت بعض المبالغ المالية بالدولار والاسترليني وطقم ذهبي رجالي من شانيل وبعض العقود المسجلة لبعض الأملاك.

أغلقت الخزينة وخرجت من المكتب أخذت مفاتيحها وذهبت لرؤية جينا. أتصلت بها وأخبرتها أنها في الطريق. كانت جينا تستعد لتقديم عرضها علي المسرح في ذلك اليوم وكان حسام سيمر عليها لأخذها. توترت. ماذا تفعل؟ . هيام ظلت تراقبها وهي تجهز نفسها. ثم رن الهاتف. نعم أنا في طريقي لك. أخذت مفاتيحها وقالت لهيام أنها ستخرج الآن. أغلقت الباب هرولت. كانت قلقة ولكنها تشعر بسعادة جعلتها تطير. أمي. سآراها بعد عامان من الحرمان. خرجت. نظرت يمينا ويسارا.. بحثت عن السيارة. أشارت لها والدتها أن معها حقيبة. ذهب البواب ليجر الحقيبة عنها وارتمت هي في أحضان والدتها لمدة لا تعلم مداها. كيف سمحت لنفسي بالتردد في مقابلتها. منحتني حضنا عوضني عن غياب عامان كاملان. وضعت والدتها وجه جينا بين كفيها ونظرت لها تتأملها. بعد أخر مرة قابلتك لم أكن أتخيل أن أقابلك هنا.. أريد أن أسمع منك.

- الآن؟

لديك موعد؟ آراك مستعدة. هل أنت ذاهبة الي مناسبة؟

- بامكانك الحضور.

أين؟

في تلك اللحظة. ظهر حسام. نظر متعجبا وقوفها في مدخل العمارة. كانت عيونه تتسائل عن السيدة التي تقف مع جينا. ترددت جينا في تعريفهم ببعض ثم اضطرت لذلك.

- أنها أمي.. وهذا حسام يا أمي. زميلي في معهد الموسيقي العربية

اندهشت والدتها مما سمعته وقالت هامسة: هل تدرسين موسيقي؟

ردت هامسة : نعم يا أمي والآن يجب أن أذهب لدي عرض علي المسرح.

قال حسام:

- ستذهبين معنا لرؤية جينا وهي تعزف؟

نظرت جينا لوالدتها. قالت والدتها:

- نعم. نعم. بالطبع.

نزل البواب وأعطي المفتاح لجينا وقال:

- وضعت الحقيبة في الشقة وأغلقتها.

أشكرك.

ذهبت جينا مع والدتها الي سيارة حسام ثم قالت لجينا بصوت منخفض: الي أي مدي وصلت علاقتك مع هذا الشاب؟

ضحكت جينا وهي تفتح باب السيارة ولم تجيب.

صعدت علي المسرح وقفت ثابتة. نظرت الي حذائها. نظرت الي المسرح. كأنها تري المسرح لأول مرة. تراه بشكل مختلف عن المرة السابقة. أما والدتها فكانت في عالم آخر. كانت متخبطة. فمتذ عدة أيام قليلة كانت تعلم أن أبنتها طبيبة وفجأة حدث انقلاب وجدت نفسها جالسة تنتظر رفع الستار لتري ابنتها تقدم فقرة عزف منفرد في عشرين دقيقة. الحياة كلها تفاجئنا بأحداث لم نكن نتخيل حدوثها. القادم أسوأ. ماذا سنفعل مع والدها الذي سيسأل وسيحلل ويتهمنا بسوء التصرف وعدم الفهم. تم رفع الستار. الآن أبنتي أصبحت موسيقية وليست طبيبة. بدأ العرض.

في طريق العودة.. كان حسام منبهر بجينا وأخذ يثني عليها أمام والدتها وأصبحت تلميحاته قوية وأنتظرت والدتها في أي لحظة أن ينطق بكلمة أريد أن أخطبها. أتصل الدكتور فؤاد بزوجته يسأل عن مكانها فقالت أنها كانت في السوق تشتري أشياء وأنها في طريق العودة. ثم قالت لحسام: لقد سعدت بالتعرف عليك..

نزلوا من السيارة. دخلت جينا مع والدتها مدخل العمارة حتي يبتعد حسام ثم خرجت وتوجهت الي سيارتها عائدة الي المنزل علي وعد أن تزور جينا يوميا.

ظلت جينا واقفة في مدخل العمارة حتي أختفت سيارة والدتها ثم توجهت الي المصعد وجدته معلق. وضعت حقيبة الكمان علي باب الأسانسير بحثت عن البواب.. لم تسمع صوته. ندهت عليه.. لم يجيب. حملت الكمان وقررت أن تصعد علي السلم. لمحت يد ممددة علي الأرض في غرفة البواب والباب موارب نزلت من علي السلم وسارت نحو غرفة البواب بحذر. هو مغشي عليه أو فاقد للوعي. أنا طبيبة أحتمال أنقذه اذا كان في خطر. وضعت الكمان جانبا علي الحائط. مدت يدها تدفع الباب. خائفة. استعادت لحظات الخوف التي كانت تعيشها في مركز بحوث دكتور تشاومينج. نفس الشعور. هذا تراجع خطير في معدل الصحة النفسية. نظرت بعينها داخل الغرفة.. دماء تغطي جسد البواب. مقتول. تراجعت في ارتباك تعثرت في الكمان المسنودة علي الحائط صرخت بفزع ووقعت علي الأرض. التفتت. انها الكمان خاصتي. لماذا كل هذا الرعب الذي أنا فيه؟ . البواب مقتول هذا كل ما في الأمر. الأمر ليس بسيط. لماذا قتل الآن؟ تذكرت أخر جملة قالها: وضعت الحقيبة داخل الشقة وأغلقت الباب.

سحبت الكمان وصعدت علي السلم مسرعة. لاهثة. خائفة.. مرتبكة.. تريد أن تبكي لكن لا وقت الآن لذلك.. فتحت الشقة. وجدت كل شئ في مكانه. الحقيبة علي عتبة الباب. المكان هادئ وكل شئ مستقر. أغلقت الباب باحكام. دخلت المطبخ. أخذت زجاجة مياة شربتها كلها.. جلست تفرك في يدها. نظرت في الساعة. أنها الواحدة والنصف صباحا.. هل أبلغ الشرطة؟ أم أتجنب التورط؟ ولكن هو فارق الحياة وفي جميع الأحوال لن يستعيد حياته. أكره ضغط الأعصاب هذا.. كل أجواء الضغط النفسي التي كانت تحيط بي مع تشاو مينج تعاد مرة أخري.. لا أحب ذلك.. لا أحب ذلك.. خلعت حذائها. دخلت غرفة نومها. ألقت بنفسها علي السرير بفستانها.. تناولت قرص مهدئ. سأنام. هذا أفضل حل.

مع أذان الجمعة تصاعدت الطرقات علي الباب مع رن الهاتف. جينا نائمة. ظلت هيام تطرق الباب حتي توقظ جينا. والدتها تتصل علي الهاتف. صوت التكبير في الميكروفون لاقامة صلاة الجمعة. أستيقظت. هل أنا في سريري؟ ماذا يحدث؟ أحدهم يطرق الباب. هل نمت بملابسي؟ ماذا حدث

ليلة أمس؟ قامت بصعوبة. جرت نفسها حتي الباب. فتحت وجدت مدام هيام تقول لها: البواب وجدوه مقتول. متي عدت؟

قالت وهي تحاول تذكر ما حدث. لا أعلم. لم أكن أرتدي ساعة.. من قتله؟

- لا أحد يعلم. لكن شكله بشع. الدماء في كل مكان..ربما يسألك الضابط عندما يبدأ التحقيق معك.

لا أعلم شئ. ولم أري أحد ولا أعرف ماذا حدث.

- خير باذن الله. لا تخافي.

لست خائفة.

- سأظل معك حتي ينتهي التحقيق معك.

جاء الضابط ليسألها عن الوقت الذي جاء ت به قالت انها لم تتذكر ثم قالت وجدت الأسانسير معطل فقمت بالنداء علي البواب لم يرد فصعدت علي السلم هذا كل ما حدث.

يوم السبت.. جلست شادن تشرب من زجاجة مياة. أطفأ بيتر سيجارته قبل الدخول. مر عليها ثم لمحها فرجع وجلس بجانبها وسألها عن حالها قالت : بخير. والدواء الي حد ما فعال. قال بيتر : سررت بسماع ذلك.

قالت شادن: تدخن كثيرا.. حاول أن تقلل من التدخين.

ضحك بيتر وقال: تعودت عليه. أنا أحب التدخين.

- ولكنه يضر صحتك.

ابتسم وقال: أعلم ولكني مستمتع به.

دخلت زيزي ومعها سيف الذي تحول الي شرارة غضب عندما وجد شادن تتحدث مع بيتر ويجلسان معا. جذبته زيزي : تعالي نجلس هنا. تعالي.

تسمر سيف في مكانه. شدته زيزي. ثم قالت بعد أن فهمت سبب تسمره: ألاعيب بنات لكي تلفت أنتباهك. بعد أن وجدت أن حركة الاسكوتر لم تفلح. وحركة الاغماء أيضا فشلت. هيا. لا تلتفت لها. ثم أنك أصبحت معي. فلماذا تهتم بمن جلس معها ومن تركها؟

- ذهب مع زيزي وجلسا معا وعيونه مثبتة علي شادن. شعرت بها الآن. كم هو مؤلم ما فعلته أنا عندما تركتها وذهبت مع أخري.. وضعي في نفس الموقف جعلني أشعر كم كنت عديم الاحساس. هي الآن تفعل مثلك فلماذا غضبت؟ ارتحت الآن؟ أشرب اذن مما صنعته.

دخلت جينا. نظرت لها شادن. راقبتها. ثم ظلت تلاحقها بعيونها حتي جلست في مكان في الخلف. استأذن بيتر من شادن ثم ذهب متوجها الي جينا ليبدأ عرضه الخاص.. راقبته شادن.. وعندما جلس مع جينا. تأكدت أنه هو. سيبدأ الآن العرض السخي. اذن فهو أنت يا بيتر. كنت أنتظرك.

أخرجت شادن ستيك نوت من حقيبتها وكتبت عليها : سيبدأ بعرض سخي واذا رفضت سيقوم باستخدام العنف. ستنجحين اذا وصلت معه الي منطقة وسطي. أو مراوغته.. خلعت الورقة. فكرت كيف تضعها في حقيبة جينا دون أن تراها. ثم وضعت سماعات في أذنها وظلت تشرب مياة وأعطت ظهرها للجميع.

جلس بيتر بجانب جينا. كانت تحاول كتابة أغنية في النوتة الموسيقية قال لها بيتر:

- أنا لا أعرف كيف أكتب النوتة الموسيقية. هل تعرفين؟

قالت : أحاول ولكني مازلت أتعلم.

- تحبين الشهرة؟

الشهرة جيدة حسب الشئ الذي تشتهر به. ربما تشتهر لأنك سفاح. وربما تشتهر لأنك أمين أو فنان ناجح أو دبلوماسي..

أنا لا أحب الشهرة. هناك فخ منصوب تصنعه الامبراطوريات العالمية لتساعدها في تحقيق مصالحها. هذا الفخ يسمي الأكثر مبيعا. الأكثر انتشارا. الأعلي أجرا. الأول علي شباك التذاكر. الأكثر قراءة.. أحدث ضجة فور صدوره.. هل وقعت في فخ كهذا؟

كثيرا. أنا أنجذب لهذه الكلمات تشجعني علي الدخول لمشاهدة الفيلم أو شراء الكتاب أو سماع الأغنية. عندما تكون لا تعرف محتوي الشئ الذي ستختاره فانك تعتمد علي قاعدة الآراء التي تساعدك في الاختيار.

هي قاعدة مزيفة. أباطرة المال في أوروبا وأمريكا يعتمدون علي هذا الزيف.

- وما هي الحقيقة يا. ما اسمك؟

بيتر. وأنتي؟

- جينا.

أهلا جينا..

- أهلا بيتر.

الحقيقة دائما مدفونة لن تظهر الا بعد أنقضاء عقود. وهكذا. فحقيقة ما نحن فيه ستظهر بعد مرور عقود علي موتنا نحن وأبنائنا وربما أحفادنا عندما يموت كل من سيحاول أن يسترد حقك لتجبري علي أن تعيشي في بؤسك. ويقولون لك هذا حاضرك. واقعك. وهناك خلف الكواليس أحد العارفين ببواطن الأمور الذي يخفي حقيقتك النقية ويغلفها لتصبح صالحة للدفن لعقود طويلة وتكون جاهزة لمن يكتشفها بعد انقضاء هذه الأعوام. شخص غريب لا يعرفك ولا يهتم لأمرك شخص لن يهمك اذا ظهرت حقيقتك أمامه. سيتم رد اعتبارك بعد فوات الأوان.

- وما هي حقيقة ما أنا فيه؟ هل هي الحقيقة التي أعرفها؟

هي نفسها. ولكننا نتظاهر بأنها ليست هي. جينا سأذهب لأدخن سيجارة وأعود نكمل حديثنا.. لا تجلسي أحد هنا حتي أعود. لم أكمل كلامي بعد.

دقيقتان. وعاد جلس بجانبها وقال: أعلم أنك تعرفين سبب قدومي الي هنا. لن أقوم بايذائك مهما حدث.. البشرية يا جينا تقوم علي تطوير منظومات العلاج وتوفير سبل العيش بصحة وعافية للأجيال القادمة. مساعدة العالم وعدم احتكار المعلومة التي تفيد أجيال سيجعل منك أيقونة. اذا أكملت الخوارزمة سيكون مستقبلك باهر. بسببها ستختفي الكثير من الأمراض. سيعيش أطفال ونساء أعمار مديدة بصحة. بخلك بعلمك سيحاسبك به الله

يوم الحساب. من قال أن خوارزميتك اذا طبقت ستستخدم في الشر؟ وما هو الشر الذي يمكن أن يأتي من علاج أمراض ليس لها دواء حتي الآن؟

قالت جينا:

- تخاف علي صحة الأجيال القادمة؟ مما؟ . هل تعلم أن عدد قتلي الحروب أضعاف مضاعفة مقارنة بعدد وفيات الأمراض التي ليس لها علاج؟ وتحاول أن تجده؟ هل تعلم أن علاج الأيدز متوفر لكن محتكر لشخصيات تعد علي الأصابع فقط؟ هل من أخترعه خدم البشرية؟ هل تعلم أن أمصال مقاومة السرطانات متوفرة لكن محتكرة لعدة أفراد؟ هل تعلم أن عدد من يموتون من المجاعات أكثر بكثير من عدد المرضي الذين يموتون من نقص أدوية؟ هل تعلم أن ساندويتش البرجر الذي تستهون به بامكانه أن يغير من سياسة دولة ويقلب استراتيجيتها رأس علي عقب عندما يتراجع الجياع عن ثورتهم بعد أن يشبعوا؟ الطاعون أختفي ولن يعود والكوليرا توأم الروح لأي حرب تأتي مع الحرب وتختفي باختفائها. أمنع الحرب وأمنع الجوع لن تجد المرض ولن تحتاج لأن تخطط خططك السامة لغسل الدماغ واتهامي بالبخل. العالم بأفضل حالاته فقط دون تدخل الأنظمة المستبدة في شئون غيرها. من أرسلك؟ جاكي؟ أخبرها أني نسيت الطب تقريبا وأن الطبيب نصحني بأن لا أجعل دماغي متقد لأن ذلك يسبب لي هياج واضطراب في النوم لعدة أيام وأخبرني بأن التركيز العالي يتلف خلايا عقلي لذلك تركت الطب ودرست دراسة خفيفة ليس خوفا من أحد ولكن أعصابي لم تعد تتحمل.

أحمر وجهه الأشقر. قالت جينا:

- آراك منفعل؟ هذا حقك فخطتك البائسة فشلت. وأعلم أن من يضع خطة يضع خطة بديلة. أنتظر خطتك البديلة التي ستفشل أيضا يا بيتر.

ألا تخافي؟

- نعم خفت. والخوف ليس بئرا نغرف منه وقت الحاجة. أنه حالة اذا جاءت مرة لا تعود مرة أخري. لن تفهم كلامي الا اذا شعرت

بالخوف القاتل مرة واحدة. لقد عشته وتجرعته كله مرة واحدة. فأفعل ما يحلو لك.

لست وحدي من يوجه الأمور حتي تقومين بدور البطولة.

غضبت وقالت: ليست بطولة أنه الجبروت الذي يظهر بعد الانكسار الذي عشته..

- جينا. أنا في أشد الحاجة لتدخين سيجارة.سنتحدث مرة أخري ولكن بطريقة مختلفة تناسب جبروتك.

أدارت شادن رأسها للخلف بحذر. وجدت بيتر وجهه شديد الاحمرار. يبدو أنها رفضت. جينا تخفي وجهها بين ذراعيها. هذا هو الوقت المناسب لوضع الاستيك نوت. قامت بخفة ووصلت لمقعد جينا و يبدو أنها تبكي وتخفي وجهها بين ذراعيها. كانت جينا تجلس في أخر السيكشن ولم يكن بجانبها أحد. قامت بلصق الاستيك نوت علي النوتة الموسيقية التي أمامها وانسحبت بهدوء.

- مسكينة جينا. العزف سينفعها كثيرا ويخفف من أحزانها. تألمت. حزنت. عزفت. أجتهدت. أندمجت. نجحت. وعندما نجحت شعرت بالغيرة منها. أسفة جينا. سامحيني.

عادت الي مكانها وقبل أن تجلس في مكانها سقطت مغشيا عليها.

رفعت جينا رأسها علي صوت صراخ زملائها ويرددون أن شادن فقدت الوعي مرة أخري.

دخل بيتر مسرعا وحملها ليخرج بها من المعهد الي المستشفي فصرخ فيه سيف وقال له:

- أتركها. أنا سأحملها الي أقرب طبيب.

لكن بيتر لم يعيره اهتمام وحملها الي أقرب مستشفي وكانت جينا ستذهب معها لكن عندما وجدت بيتر هو من تولي المسئولية. تراجعت مع أنها كانت في غاية القلق علي شادن. جمعت كتبها وحقيبتها والكمان ورحلت عائدة الي المنزل.

ظل بيتر يقف خلف نافذة زجاج يشاهد ما يقوم به الأطباء من أشعة وكشف علي شادن. أخرج سيجارة لكنه وجد يافطة ممنوع التدخين فوضع السيجارة في علبتها.. أستعادت شادن وعيها ونصحها الطبيب بالراحة والانتظار حتي يقوم بعمل أشعة علي البنكرياس. نظرت حولها لم تجد أحد تعرفه أدارت رأسها تنظر الي الواقفين خلف النافذة الزجاجية وجدت بيتر أغمضت عينها.

قام الطبيب بعمل أشعة علي البنكرياس. خرجت تنتظر النتيجة مع بيتر. تم ذكر أسمها فدخلت قال لها الطبيب : هناك ورم علي البنكرياس ويجب أخذ عينة مته لمعرفة هل هو حميد أو خبيث.

- هل سأموت؟

لن تموتي. أمامنا مرحلة صعبة أما أن تستلمي للمرض ليلتهمك وأما أن تغلبيه بصبرك. من الأفضل أن تتابعي مع طبيب متخصص. سأعطيك أسم أحد المتخصصين سيقوم معك بخطوات العلاج وستتعافين باذن الله.

- أشكرك.

أخذت الورقة من الطبيب وبها اسم الطبيب الذي سيتولي حالتها. قال لها بيتر:

- لا تخافي. السرطانات أصبحت شئ عادي. الجميع يدخل في معركته منتصر حتي ولو كان بعيش بعض السنوات الاضافية من عمرك.

سخرت من كلامه وقالت: اضافية؟ ليست باقة أنترنت اضافية. أنها حياتي.

غضبت وتركته ورحلت.

كان مدير المعهد وقتها قد أختار في تجربة الأداء جينا وشادن في محاولة منه أن يقرب بينهم بعد سوء التفاهم الذي حدث بعد أختيار جينا مع سيف مكان شادن وقام باخراج سيف من الموضوع برمته. كان سيف مرابض أمام منزل شادن حتي عادت من المستشفي. ماذا حدث؟ هل أنت بخير الآن؟

ردت شادن : نعم أنا بخير. شكرا علي اهتمامك.

قال سيف: بيتر هذا تدخل وحملك وأسرع بك الي المستشفي ولم يعطيني فرصة في أن أساعدك. ماذا قال الطبيب؟

قالت: لا تهتم. لقد مرت.. أشكرك.

قال سيف: أنتبهي علي نفسك يا شادن.

هزت رأسها وودعته مسرعة الي داخل المنزل. دخلت غرفتها مثل الصاروخ وأغلقت علي نفسها الباب وأنفجرت في البكاء. هذه ثاني مرة تفقد وعيها وتسقط أرضا أمام أعين زملائها. واذا علموا بأمر مرضها سينظرون لها نظرة شفقة. كيف نحتفظ بعزة النفس مع المرض؟ كيف؟

أتصلت جينا بشادن ولكنها لم ترد. أغلقت هاتفها ونامت.

في اليوم التالي وصلت جينا الي المعهد واستدعاها المدير وأخبرها بأنها وشادن سيقوموا بالعرض الخاص لنهاية العام علي مسرح السلام بعد تأجيره ومعهم زيزي وباقي الأبطال من الفرق الأخري. أعطاها قصة المسرحية التي سيقوموا بأدائها وتحدث معها بخصوص دورها الذي ستقوم به.

أخذت السيناريو والاسكربت الخاص بالعمل ووضعتهم في الحقيبة وخرجت تبحث عن شادن فلم تجدها بالطبع هي مريضة ولن تأتي اليوم فلترتاح قليلا.. وجدت بيتر أمامها يدخن سيجارته لم تسأله عن شادن مرت من أمامه بسرعة فقط حتي لا تعطيه فرصة التحدث معها. أستوقفها عندما قال: شادن مريضة بالسرطان.

قال جملته وأخرج دخان من أنفه ثم ألقي عقب السيجارة. أستدارت جينا وقالت له: ولماذا تخبرني؟

قال بيتر: الموت يأتي في لحظة. في عز شبابك. هل رأيت أحد ينجو من الموت؟

قالت: نعم رأيت وسأجعلك تري قريبا كيف ننجو من الموت.

ضحك بيتر باستخفاف شديد ثم علت ضحكته بعد أن غادرت.

أستيقظت شادن متأخرة ارتدت ملابسها سريعا وذهبت منطلقة علي الاسكوتر الي المعهد. فور وصولها سألها الجميع عن حالها ابتسمت وشكرتهم ثم أستدعاها مدير المعهد وأعطاها الاسكربت وتحدث معها عن الدور. لقد وضعها قي خانة اليك لن تسطيع أن ترفض. جلست مثل الأسفنجة تمتص كل كلام مدير المعهد ستكون جينا معك ثم زيزي أيضا مشاركة في العرض. في تلك اللحظة طرق الباب ودخلت زيزي. رمقتها شادن بنظرة رفض واضحة ثم جلست وقام المدير باستكمال حديثه مع شادن ثم انتهي. هنا سألته زيزي عن دورها كيف سيكون؟

ردت شادن سأكون أنا الشعب وأنت الحكومة وأعتقد أن هذا مناسب لك تماما.

ردت زيزي: ولماذا هو مناسب لي؟

قالت شادن: باعتبار أن الحكومة في واد والشعب في واد أخر.

ردت زيزي: تظل الحكومة حكومة شئت أم أبيت.

قالت شادن : الحكومات الي زوال والشعوب هي التي تبقي.

خرجت شادن ومعها السيناريو وقالت في سرها : يبدو أنها نهاية عام دراسي درامية.

كان بيتر واقفا يدخن سيجارته ثم قال لشادن : أنتظرتك منذ الصباح لأعتذر لك عن سوء أختياري للكلمات بالأمس.

قالت شادن: بعد أن هدأت أكتشفت أني كنت منفعلة أكثر من اللازم بسبب صدمة خبر المرض وبالمناسبة أريد أن أطلب منك أن تجعل ما دار بالمستشفي بالأمس سرا بيننا ولا تخبر أحد بحقيقة الأمر.

قال بسرعة: بالطبع. لا تقلقي. أنا لم أخبر أحد علي الاطلاق.

- أشكرك يا بيتر.

عادت جينا الي منزلها وجدت أثنان من الجيران يقوموا بنقل أثاثهم ليرحلوا من العمارة. تعجبت فبالأمس أيضا نقل أثنان أثاثهم. هل يتم تغيير سكان العمارة؟ طرقت باب مدام هيام لتسألها: ماذا يحدث؟

شدتها من يدها وقالت: لا أعلم. بالأمس جاء أثنان أجانب وقاموا باستئجار شقتين بالعمارة واليوم أثنان أخران. يبدو أن العمارة ستتحول الي سفارة أجنبية.

أبتلعت جينا الكلام بصعوبة. أنها تفهم ما سيحدث جيدا. أنها تحاصر. يقومون بمحاصرتها في مسكنها.. أنها كارثة سيحتلون العمارة ويفعلون بها ما يحلوا لهم دون أن تجد من تستنجد به. نظرت لمدام هيام وسألتها: هل ستقومين بالبيع وتتركيني أنت أيضا؟

قالت مدام هيام:لا يمكن أن يحدث ذلك.

دخلت منزلها. يبدو أن الأمر لن يقف علي ذلك. أنهم سيحاصروني بشكل كامل لابد من التحرك بسرعة البداية كانت مقتل البواب والنهاية تظهر بوادرها الآن.

أتصلت بوالدتها التي ردت عليها ثم قالت بحزم : عفوا الرقم خطأ.

أغلقت والدتها الهاتف. تأكدت جينا أن والدها كان بجانب والدتها ولهذا لم ترد عليها. هي الآن تعلم أني أريد أن أخبرها بأمر ما. ستتصل بي فور أن تكون بمفردها.

دخلت المطبخ وأخرجت من الثلاجة باقي تورتة مع كوب من الكولا. رن الهاتف. كان حسام يريد أن يعزمها علي الغداء فمنذ أسبوع لم يراها لكنها أعتذرت علي أن تلتقي به في اليوم التالي.

جلست تنتظر أن تتصل بها والدتها.

لكن جرس الباب هو الذي رن. فتحت الباب لمدام هيام التي دخلت وقالت لها:

- جينا. هناك أمر ما. زوجي عاد من العمل منذ قليل وأخبرني أنه قام ببيع الشقة بمبلغ ضعف قيمتها. لا أعرف كيف أخبرك. هناك شركة استثمارية ستقوم بشراء الشقة نظرا لموقعها المناسب. سنرحل خلال أيام.

شركة استثمارية أجنبية.. أليس كذلك؟

لا أعلم التفاصيل ولكني صدمت عندما أخبرني فلم أشعر بنفسي الا وأنا أخبرك. جينا. أهتمي بنفسك. سأتي لأطمئن عليك كل فترة.

أبتسمت جينا أبتسامة اللامبالي وربتت علي ذراع مدام هيام وقالت: أعرف أنك تكنين لي مشاعر مخلصة وأنا أحترمك كثيرا ولن أنساك.

أتصل رقم غريب بجينا. ردت بسرعة ظنا أنها والدتها. كان صوت شاب قال لها : مرحبا جينا. أسمي كريم طالب في معهد الفنون المسرحية. لقد أعطاني مدير معهد الموسيقي رقمك ورقم باقي أفراد العمل الذي سنشارك فيه علي مسرح السلام علي اعتبار أن العرض غنائي استعراضي.

قالت جينا: أهلا كريم.

قال كريم: من الأفضل أن نلتقي جميعا.. هل يناسبك يوم غد؟

قالت جينا مترددة: اتفق مع الجميع أولا ثم أتصل بي. فأنا متفرغة بعد الخامسة عصرا.

أتصل كريم مع باقي أفراد العرض زملائه في المعهد ثم أتصل بزيزي وشادن وباقي الأعضاء المشاركين في العرض وأتفقوا علي بعد غد ثم أتصل بجينا وأخبرها بالموعد فوافقت عليه.

في التاسعة مساء أتصلت بها والدتها وأخبرتها جينا أنها في حاجة لمنزل جديد وشرحت لها ما يحدث. أقترحت والدتها أن تخبر والدها لأن الأمر تعدي المألوف وأصبح هناك جريمة قتل لبواب العمارة ثم استئجار جميع شقق العمارة لأجانب لكن جينا أعترضت وقالت : لن أقبل به كجزء من الحل أبدا.. قالت والدتها: حبيبتي الدواء يخرج من الداء. لابد أن يتحمل مسئوليته كأب تجاه أبنته.. الي متي سيظل يعتقد أنه أب ناجح لأنه تحمل أبنته الأنثي؟ يجب أن يقدر قيمتك ويعلم أن أبنته يجب أن يصحح تعامله معها ونظرته لها.

قالت جينا: لن أقبل به أبدا.

- أتفقت مع والدتها علي أن تجد لها مسكن ملائم.

ذهبت جينا لتجهز حقائبها وترتب كتبها عثرت علي الاستيكي نوت التي لصقتها شادن علي كراسة الموسيقي. قرأتها بتأمل طويل جدا. ثم ألقتها في القمامة.

ذهب علي زميل كريم في معهد الفنون المسرحية وأخبر ضابط بأمن الدولة بنشاطهم الصيفي وأعطاه نسخة من العمل الذي سيقومون به. علي هو مندس مثل كل مؤسسة تعليمية يكون فيها مندسين يعملون لصالح أجهزة أمنية لدرء الفتنة داخل الحرم الجامعي..

قام الضابط بأخذ أسماء الطلبة المشاركين في النشاط الصيفي وقام باصدار أمر بمراقبة هواتفهم استعدادا للقبض عليهم أثناء العرض.

وضع البلاد لا يحتمل مثل تلك النشاطات الصيفية ولا الشتوية. وضع البلاد دائما لا يحتمل أي نشاطات. وضع البلاد ميئوس منه مثل أبطال العرض الذين سيقومون بعرض استعراضي. ولما لا؟ أليست كل مشاكلنا تحل بالاستعراضات والرقص؟ جانجام ستايل وديسباسيتو؟ فمع كل رقصة تأخذ ضربة تسويك أرضا وتحملتها البلاد ومرت فلماذا لن تتحمل البلاد تلك المسرحية الهزلية؟ أم أن الرقص يجب أن يكون بأوامر من الأشرار وبتوقيت ملائم لنسف حياة المخلصين كأن تقدم له باقة ورد مفخخة مصحوبة بابتسامة كاذبة.

الرقص له توقيته وهذه ليست ساعة الاستعراضات. الرقص له قرارات سيادية عالمية تخبرك أن الساعة تدق فهيا نبدأ بالضربة الجديدة وأنت غافل وأنت نائم وأنت عاشق وأنت مخلص وأنت واهم بأن حياتك تنتظرك فتأتي الرقصة كالطعنة الأنترناشونال لتخبرك أن حجمك الحقيقي صغير. تافه. حقير. يجب أن تعيش في مستواك ولا تنظر لما هو أعلي.

- أستعراض يزعج الحكومة كيف ذلك؟ فالحكومة هي الراقصة وهي التي تقرر موعد الرقص لتسقطك أرضا. لكن أن ترقص أنت لتسقط الحكومة؟ فهذه جريمة تستحق الموت عليها.

ظلت شادن تتقيأ في الحمام وكانت والدتها تنتظرها ليذهبا للطبيب لمعرفة نوع السرطان حميد أو خبيث.. خرجت من الحمام جلست علي طرف

سريرها أتصل بها كريم وعرفها بنفسه مرة أخري وذكرها بموعدهم للقاء فأكدت أنها ستذهب.. ظلت والدتها تضرب كف بكف وقالت لها:

- أي لقاء وأي مسرحية.. أنت مريضة.. كيف ستقفين وتؤدين وأنت بهذه الحالة؟

قالت شادن: سأكون أفضل. أشعر بذلك. سأستعيد قوتي عندما أكون وسط زملائي.

- أعتذري عن المشاركة في تلك المسرحية.. قلبي منقبض منها ولا أعلم السبب. صدقيني.. لا أشعر بالراحة تجاهها.

اذا أعتذرت عنها سيلغي درجات كبيرة من العملي للعام القادم. كما أنها تجربة جديدة وأريد أن أخوضها..

- صدر قرار مراقبة الهواتف للطلبة المشاركين في العرض المسرحي.

السقوط أرضا. ما معني السقوط أرضا؟

ذهبت والدة شادن لمدير المعهد تقدم طلب أجازة لمدة عام لشادن دون علمها وتأجيل الدراسة.

- في الحديقة تجمع أفراد العرض المسرحي. كان كريم في أنتظارهم. أستقبلهم فردا فردا. يدك كالثلج. هل أنت بخير؟

أبتسمت شادن وقالت: نعم.

شحب وجه كريم.. يداها كالثلج حتي أن برودتها سرت في جسدي. أنها ليست بخير. شاحبة. متوترة. خائفة. أصابتني بالعدوي. أسمها شادن.

ضحك وقال لها:

- تعلمين معني أسمك؟

نعم. صغير الغزال.

- أسم علي مسمي

أشكرك.

- أخبريني الآن. هل أنت بخير حقا؟

نعم. أنا بخير.

تركته وابتعدت عنه لتنضم الي المجموعة قال لنفسه: ولكني لست بخير أبدا. من أين ظهرت أنت؟

جاء علي ووقف بجانب كريم وقال: هل أكتملت المجموعة؟

- نعم. مسك الختام وصل.

من مسك الختام؟

- شادن. الفتاة التي جاءت أخر واحدة. تعلقت بها منذ أن رأيتها.

حقا؟ أنها جميلة. هيا نبدأ.

- هيا

جاء علي بكاميرا وقال: نأخذ صورة تذكارية قبل العمل.

وقف الجميع وأبتسموا وألتقط علي الصورة.

دخل حسام الحديقة ينتظر جينا يأخذها للمنزل بعد أنتهاء عملها مع المجموعة. جلس يشرب شاي ويدخن سيجارة. لمح بيتر من خلف السور. هل هذا طبيعي؟ لماذا يظهر بيتر هنا؟ لماذا يقف هكذا؟ كأنه يراقب أحد؟ هل يراقبني؟ ولماذا؟

السقوط أرضا.. هل تعلمين معني السقوط أرضا؟ وضعت شادن يدها علي رأسها. لماذا هذه الجملة تجري في رأسي. أني أخاف أن أسقط أرضا والخوف سيجعلني أفعلها. تماسكي يا شادن. أنت بخير. أنت وسط زملائك.

كانت جينا مثل صاحب بالين. بال مع كريم وما يقوله من شرح لكل فرد فيما سيقوم به وبال مع شادن المريضة. تراقبها من حين آخر. بل أنها أتصلت بحسام ليكون حاضرا معها تحسبا لأي حدث مفاجئ.

قالت جينا: ليس بجديد علي. أنا عازفة ولكني سأقوم بالتدرب علي المقطوعات التي سأعزفها في مواقف محددة وبين المشاهد.

قالت شادن: أنا سأؤدي بصوتي وأنا أحب ذلك كثيرا متمثلا دوري في الشعب المطحون الممزق بين أطماع الحكومة الجشعة وبين طبقات مجتمعه المتباينة.

قالت زيزي: وأنا سأؤدي بصوتي دور النظام الفاسد الجشع الذي يدك الشعب علي رأسه بكل غطرسة وغباء ويفعل كل شئ محرم وقاسي ومجرم من أجل الاحتفاظ بالسلطة ويبلغ بطشه أبعد مدي.

قال كريم : أنا سأؤدي دور الثوار الذين يتحدون مع الشعب لينظم له أهدافه ويصلح بين طبقاته ويجعلهم يتحدوا لمواجهة بطش النظام الجائر. ناظرا الي زيزي.

قال علي: وأنا فخور بكم جدا.

قال كريم: الدور يتطلب أصوات جيدة لهذا لجأنا الي معهد الموسيقي والباقي عبارة عن مجموعة رقصات أستعراضية تمثل كل حالة تمر بها البلاد وهؤلاء الراقصين سيكونوا من معهدنا. سنبدأ بعد يومان بروفات المسرحية. حتي هذه اللحظة أتمني أن يحفظ كل شخص دوره جيدا وأنت يا جينا يجب أن تتدربي علي المقطوعات التي ستعزفينها في العرض.

قالت جينا: لا تقلق. كانت معرفة جيدة لنا جميعا.

- ولي أيضا.

أنتهي الاجتماع. أشار حسام لجينا التي أسرعت اليه أحتضنها وقال : معذرة. لم أراك منذ أسبوع وقمت بالغاء مقابلة أمس.

ضحكت جينا.. ثم قالت: سأنتقل الي منزل جديد قريبا.

- حقا؟ لماذا؟

أنتهت مدة الايجار.

- أين مكانك الجديد؟

لن أذهب بدونك اليه.

حملت شادن حقيبتها وخرجت من الحديقة أسرع كريم اليها. وجدها تركب الاسكوتر فضحك وقال: بامكاني أن أقود.ضحكت وتركته يقود وجلست خلفه. حذار من السقوط أرضا. ما معني السقوط أرضا؟

تمسكت بقميصه وشعرت بدوار خفيف. وضعت رأسها علي ظهره. حذار من السقوط أرضا. ما معني السقوط أرضا؟ . لا تجعلي خوفك من السقوط يسقطك يا شادن.

هذه المسرحية تمثلني. أريد أن أخوض التجربة. لقد أحبتتها.

ذهب علي الي الضابط وأعطاه الصورة التي تجمعهم. قال الضابط: أنهم يبتسمون.

أبتسم علي وخرج من المبني.

أتصل الضابط برقم ثم قال: تعالي.

دخل الضابط: لك أسبوع تراقب هواتف هؤلاء الشباب.. ما الجديد عندك؟

- سأدون تقرير مفصل فورا يافندم

تفضل. والتقرير يصلني فورا.

جهز الضابط تقريره الي رئيسه وقدمه له في الحال. ظل يقرأ فيه قرابة العشر دقائق. ثم ألقاه جانبا..

مساءا. أطفأت جينا الأنوار وأسدلت الستائر وأنتظرت أتصال من والدتها.. جهزت حقائبها.. وأنتظرت لحظة التحرك.. كانت كلما فتحت باب شقتها تسمع أحدهم فتح الباب. أتصلت والدتها وقالت لها:

- أنا بالأسفل ومعي خالك سيصعد ليحمل معك الحقائب وتسرعين في النزول حتي لا يشعر أحدهم بك.

قالت جينا:

- يا أمي الوضع مرعب. أنهم يسمعون صوت الباب ينفتح يفتحون أبوابهم.. أني خائفة يا أمي ربما يقوموا بمهاجمتي اذا علموا أني أغادر العمارة.

أو يقتلوك كما قتلوا البواب.

- لا يا أمي. لن يقتلوني لأن الخوارزمة معي وهي مفتاح نجاتي طالما لم أعطيها لأحد.

أفعلي ما أقوله وأنا سأنتظرك في السيارة سننطلق فورا حتي لو كانوا جاهزين بثيابهم لينزلوا روائك ويلاحقوك لن يلحقونا.. هيا لا تخافي. خالك سيرن الجرس. هيا أستعدي.

فتحت الباب وجدت خالها أمامها أخذ منها الحقيبة وسحبت هي الأخري وأغلقت الباب ورائها بهدوء فسمعوا صوت الباب. دفعها خالها. هيا. لا تخافي.

أستمع الضابط للمكالمة وأنتبه لما يسمعه ثم أتصل بأحد الضباط تبع شرطة قسم الدقي وأخبره بأن يذهب الي عنوان اقامة جينا ويتصرف علي أنه بلاغ جاء وأن يتصنع أي حجة حتي يتحري ما يحدث داخل العقار وفورا.

وظل ينتظر أي اتصال يدور بين جينا ووالدتها. ما الذي يحدث؟

أسرعت جينا الي النزول فوجدت أحد الجيران توقفها بمسدس لتعود الي داخل المنزل وهي تقول بالانجليزية : لقد أتعبتينا كثيرا أيتها المصرية العنيدة.

عادت الي شقتها. كان خالها أخذ الحقائب ونزل ووضعها بالسيارة. أتصلت بالهاتف وهي تبكي : أمي.. أحدهم أعترضت طريقي ورفعت المسدس في وجهي.

قالت والدتها : أنتظري أنا قادمة لك ومعي مسدسي. قالت جينا : بسرعة يا أمي أني خائفة.

صعدت والدتها في المصعد مع خال جينا ومعها المسدس. في تلك اللحظة دخل ضابط العمارة وصعد الي رقم الشقة التي أخذها من الضابط الذي يراقب الهواتف وكان معه سلاح علي استعداد لاطلاق النار. أتصل به الضابط وقال له: لا تتركها حتي تغادر المبني واضح أن هناك من يهددها داخل العمارة.

أغلق هاتفه ورن الجرس. فتحت والدة جينا وقالت لجينا: هل أبلغت الشرطة؟

تعجبت جينا وقالت : لا ولكن نحن في حاجة له حتي نخرج من هنا.

قال الضابط: المعذرة من الجميع ولكن جاءنا بلاغ أن أحدهم سرق شيئا وأختبأ في هذا العقار.. هل رأيتم أي شئ؟

قالت والدة جينا: لا لم نري أي شئ.

شعر الضابط بارتباك واضح علي كل الموجودين فقال: هل أنتم في حاجة للمساعدة؟ قالت جينا: لا. شكرا.

ثم قالت بسرعة لوالدتها: هيا نخرج من هنا قبل أن يغادر هذا الضابط المبني أنها فرصة.

أغلقوا الباب ورائهم بسرعة ونزل هو ونزلوا ورائه مباشرة. فتحت السيدة التي هددت جينا الباب مرة أخري فوجدت والدة جينا ترفع المسدس في وجهها هي الأخري. كان الضابط مازال داخل المبني لم يخرج بعد وكما أكد عليه الضابط أن يتأكد أنهم خرجوا من العمارة. ظل واقفا في الأسفل.

قالت والدة جينا : أسرعي أنتي يا جينا. الضابط مازال في العمارة وستنزعجين أيتها السيدة اذا سمع أطلاق رصاص هنا.

جرت جينا الي السيارة ودخلت وجلست وظلت تنتظر والدتها. أخذت منديل مسحت دموعها. مازال الضابط يراقب الموقف من بعيد. أتصل بزميله وأخبره أن الفتاة نزلت ومازالت تنتظر والدتها.. الوضع مشوب بغموض غير مفهوم. أنتظر. والدتها نزلت لتوها الآن ومعها رجل في الخمسين ركبا السيارة وسيغادرون.

ظل الضابط واقفا علي مقربة من العمارة ووجد السيدة الأجنبية تسرع وفي يدها مسدس أخفته فور أن رأت الضابط ينظر اليها.. أقترب منها وسألها: ما الأمر يا سيدتي؟ هل لديك مشكلة؟

قالت السيدة الانجليزية : لا يوجد. أشكرك.

تعجب الضابط وقال: لماذا تمنعها هذه السيدة من الخروج.. هل كان يجب أن تأخذ أذن لترك العمارة التي تقيم بها؟ ماذا يحدث؟

عاد الضابط الي مقر عمله بعد أن شرح الوضع للضابط المكلف بالمراقبة فطلب منه الضابط المكلف بمراقبة الهواتف أن يتحري عن سكان هذه العمارة.

مسك الضابط المكلف بمراقبة الاتصالات ورقة وكتب خطاب لوزير الداخلية وأرسله.

مكتب وزير الداخلية. الرسالة عاجلة يافندم.

قرأ وزير الداخلية الورقة التي أرسلها الضابط. وأرسل في طلبه.

ذهبت شادن الي الطبيب مع والديها والاثنان ينتابهما حالة من الحزن علي ابنتهم.. ظلت تنظر لهم ثم قالت: ما بكم؟ أنا بخير. سأكون بخير.. أمنحوني الفرصة لكي أثبت ذلك.

كانت والدتها تتظاهر بالتماسك وضعت يدها فوق يد ابنتها وظلت تربت عليها.

دخلت الي الطبيب وأخبرها أن الورم حميد ويجب أجراء جراحة عاجلة لكن بعد أجراء بعض التحاليل الخاصة. أستوقفته شادن قائلة : عندي مسرحية يجب أن أؤديها قبل نهاية الشهر وبعدها نقوم باجراء الجراحة.

نظرت لها والدتها بغضب وقالت: لا.. ستقومين باجراء العملية أولا ولتحترق المسرحية.. صحتك أهم. كما أني قدمت لك علي تأجيل للدراسة لمدة عام ووافق العميد عليها.

غضبت شادن وقالت: ماذا فعلتي أنت؟ المسرحية ستكون ليلة واحدة فقط أنها مشروع تخرج كريم ولقد قمت بحفظ دوري من فضلك يا أمي لا تحرجيني وتضعيني في موقف المريضة المسكينة أمامهم.

أشار لها الطبيب بالهدوء وقال: حسنا. حسنا. والدتك تحبك وتخاف عليك أهدئي.. فبامكاننا أن نؤجل العملية لبعد المسرحية مباشرة فأنت فتاة قوية وشجاعة وبامكانك فعل ذلك..

ثم نظر الي والدتها وقال: أبنتك لا تريد أفساد مشروع تخرج زميلها. كما أن الوضع مستقر لكن يجب أن تتناولي الافطار يوميا لأن الاغماء يأتي نتيجة عدم تناول الطعام بشكل منتظم وصحي.

ضحكت شادن كأنها أنتصرت. وقبلت والدتها التي كان من الواضح عدم رضاها وقالت : حتي هذه اللحظة قلبي ينقبض من تلك المسرحية ومن تلك الليلة ولا أعلم سبب ذلك.

ساد صمت قاتل داخل السيارة جينا. والدتها. خالها.

وصلوا الي منزل مكون من ثلاثة طوابق هو منزل خالها. حمل حقائب جينا ودخلت. مسك يدها وربت علي كتفها بحنان وقال: هنا أمان.. أنت مع أسرتك أنا وزوجتي وأبنتي هنا. لن تشعري بأي غربة أو خوف بعد ذلك والمنزل حوله حديقة ومستقل لن تجدي أي شئ يزعجك هنا.

دخلت الي المنزل وجدت زوجة خالها في استقبالها وابنته هنا جامعية في عامها الثالث. رحبوا بها بشدة وجلست قليلا. كانت والدة جينا صامتة كالقبور وناظرة الي الأرض فقط منذ أن خرجوا من العمارة..

قال خال جينا لابناه: هيا خذي جينا لتتعرف علي غرفتها وأجعليها تشاهد المنزل كله والحديقة.. هيا.

بعد أن غادرت هنا مع جينا. مسك يد شقيقته وقال : تعالي ندخل هنا ونتحدث. ذهبت معهم زوجته وأغلقوا الغرفة علي أنفسهم. فأنفجرت والدة جينا في البكاء قائلة : لقد ضاعت البنت. مهما فعلت لن يتركوها. أين كان عقلي عندما تركتها وهي صغيرة في بلد غريبة ليست رجل حتي أتركها وحدها في سنها الصغير أدركت الآن مدي فظاعة ما فعلناه والدها كان أناني عندما تخلص منها لأنها أنثي لماذا لم يحتويها لماذا لم يهتم بها لماذا ألقاها في النار وطلب منها أن تتصرف وحدها. الذي حدث اليوم حدث معها هناك قبل أن تغادر لندن وواجهته وحدها ولم تتحدث وظلت وحدها عامان دون أن نعرف ولم تشتكي.. أنا لا أريد أن أري وجه فؤاد. لا أطيق رؤية هذا الرجل.

رن هاتف والدة جينا. كان زوجها يسأل عن سبب تأخرها حتي هذه الساعة. لم ترد عليه فأرسل رسالة!أين أنت؟ تأخرت كثيرا. هل لديك مشكلة؟

- مشكلتي أنت.. علقت والدة جينا علي الرسالة.. مشكلتي أنت أيها الرجل المتبلد.

أغلقت الهاتف.

خرجت والدة شادن مع زوجها من عيادة الطبيب قالت لزوجها وهم ينزلون : ألم تلاحظ أن شادن أنكسرت عندما تركت سيف وأصبحت في أضعف حالاتها وخلال تلك الفترة ظهر المرض.. والآن تتعافي ومتحمسة جدا بسبب كريم. بدأت تقاوم وبدأت تهتم بصحتها. هل لاحظت ذلك؟ فبرغم أنها كانت مجروحة لخيانته لها دون سبب ورغم كتمانها وعدم أعترافها الا أن كل ذلك أثر علي مناعة جسدها.

قال والد شادن : أنها عاطفية وهذه مشكلة كبيرة. ليست عيبا ولكن فشل أول علاقة في هذا السن تسمي فشل الحب الأول والتجربة الأولي تكون مؤلمة وتترك آثارها المؤلمة طوال العمر لكن لم أكن أعلم أنها ستقتل جهاز المناعة بداخلها.. هل كانت تحبه بهذه القوة؟

قالت والدة شادن: قلت منذ قليل أنها عاطفية وهذا سيسبب لها مشكلة في حياتها.

قال والد شادن: هي عاطفية ولكن متعقلة وهذا ما يجعلني أثق في أنها ستتعافي وتكمل حياتها بعد أخذ الدرس الذي كان يجب أن تأخذه في الحياة.

قالت والدة شادن: برغم أن كريم هذا رفع معنوياتها وجعلها متحمسة ولكني مازلت منقبضة من تلك المسرحية.

قال والد شادن: تفائلي خيرا.. هيا أنها تنتظرنا.

أتصلت والدة جينا بزوجها وقالت أنها ستقيم هذه الليلة مع شقيقها وستأتي الي المنزل في الصباح. عرض عليها زوجها أن يأتي ويأخذها بسيارته لكنها رفضت.

كانت تريد أن تقيم مع أبنتها في غرفة نوم واحدة. أخذتها في حضنها.

قالت جينا : منذ متي لم يحدث بيننا ذلك؟

- منذ سنوات.

لقد كبرت يا أمي وعرف البؤس طريقه لي. عندما تمرين في طريقك علي البؤس لن تعود حياتك كما أنت.. أنا تعيسة جدا يا أمي. ماذا ستفعلين لكي تزيلي هذا الشعور الذي يحتل نفسي؟

كانت والدتها تداعب خصلات شعرها وتفكر بعمق ناظرة الي سقف الغرفة ثم قالت: سأجعل خالك يقوم بوضع كاميرات مراقبة عند البوابة وعند مدخل المنزل. التكنولوجيا التي تريد قتلك بامكاننا أن نستغلها أيضا في حمايتك. هذا أولا.

نظرت جينا لها باعجاب وقالت : وثانيا؟

قالت والدتها: ثانيا سأبحث عن طريقة أستطيع من خلالها استصدار شهادة طبية بأن عقلك لا يجب أن يدرس الدراسات المعقدة والا ستتعرضين لفقدان وعي نتيجة عدم قدرة العقل علي الاستيعاب وسأقوم باستخراجها من استشاري في لندن.

قالت جينا: لن يصدقوا.. وما الذي يهمهم في ذلك. كل ما يهمهم هو الخوارزمة أما أنا فلأذهب الي الجحيم.

قالت والدة جينا: هذا التقرير مهم ليفهموا أنك غير قادرة عي الوصول الي نهاية خوارزميتك وبأنك حاولت لكن لم تستطيعي أكمالها لأن خلايا عقلك لم تتحمل المجهود الذي يمارس عليها.

قالت جينا: ولكني أنهيتها يا أمي وتركتها مع جوري.

قامت والدتها مفزوعة وقالت: ماذا؟ مع جوري؟

قالت جينا: نعم. في حالة تعرضت لخطر ما بسببي تقوم بالمساومة عليها. فعلنا ذلك تأمينا لنا في حالة ما تعرضنا لأسوأ الظروف.

قالت والدة جينا: وجودهم هنا ومطاردتك بهذا الشكل دليل علي أن جوري لم تخونك.

قالت جينا: جوري صمام الأمان لي يا أمي ولهذا لا أريدها أن تشعر بالاحتياج هناك. الاحتياج مقدمة الخيانة. ولا أريد أن أسمح بفتح باب الاحتياج هذا.

قالت والدة جينا: أنت تحمين الخوارزمة وأنا أريد أن أحمي حياتك.

قالت جينا: حسنا يا أمي أفعلي ما ترين أنه مناسب وأبحثي في كيفية الحصول علي شهادة كهذه من لندن ولكن يجب أن تعلمي أن الخوارزمة اذا وصلت ليدهم ستقومين باستخراج شهادة وفاتي. أنا والخوارزمة وجهان لعملة واحدة وحمايتها من حمايتنا جميعا.

كانت جوري في تلك اللحظة تتفقد العصفورين الموجودين داخل القفص. أعزائي أتمني أن تظلوا بخير. مع تفقدها لكلاهما تشعر بالراحة لقد قسمت الخوارزمة الي نصفين ووضعت كل نصف في جناح كل عصفور. أنتم الآن تكملان بعض.

كانت كل المشاهد في المسرحية أما بين شادن وزيزي أو بين شادن وكريم. وكانت جينا تأخذ مكان منعزل لتتدرب فيه علي المقطوعات التي ستعزفها حسب مشاهد معينة. أتقان الدور يعني أنك تشربته وأنك شعرت به يلامس جزء من حياتك. كان حسام يذهب الي جينا كل فترة ليراها ولكن ليس بكثرة كالسابق خاصة بعد أن علم أنها أنتقلت الي منزل خالها. وكانوا كثيرا ما يتدخلوا لفض الاشتباكات المفتعلة من زيزي بسبب غيرتها الغير مبررة عندما يتواجد سيف معها في البروفات وفي أخر الأمر قالت جينا لسيف : يستحسن أن لا تتواجد هنا حتي تمر البروفات بسلام. ولكن سيف كان في شدة الغيظ بسبب التقارب الواضح بين كريم وشادن ولهذا كان لا يتحمل ذلك ويذهب ليتابع تطور العلاقة بينهم وزيزي كانت متأكدة أنه يغار علي شادن وهي تغار عليه. ولهذا كانت جينا تتجنب التواجد في المكان عندما يجتمع أربعتهم بالطبع ينتهي الأمر باشتباكات وصراخ.

قالت زيزي لشادن في أخر ليلة من البروفات : سأؤدي الدور بمصداقية منقطعة النظير. لأني أكرهك.

قالت شادن: أشكرك. غدا المسرحية. وبعد ذلك نري كيف سنتعامل مع تلك الكراهية.

قدم الضابط تقريره لرئيسه في جهاز الأمن. قال الضابط : المسرحية غدا. أريد أن يتم القبض عليهم بعد العرض مباشرة حتي يفهم الجميع أن النظام فوق الجميع ويجب أن يحترم.

لم تنسي شادن موضوع جينا. غدا المسرحية. بيتر مازال يطاردها في كل مكان.. نزلت شادن من منزلها في التاسعة مساء وركبت الاسكوتر وذهبت الي عيادة الدكتور فؤاد وقدمت له دعوة لحضور المسرحية. وضعتها أمامه قائلة:

- أعلم أنك لا تهتم بهذه الأشياء ولكني أتمني أن آراك هناك أنه مشروع تخرج لأحد زملاءنا. أنا مصابة بالسرطان وسأدخل غرفة العمليات مباشرة بعد المسرحية ربما لا نتقابل مرة أخري. من فضلك أهتم بالأمر من فضلك لأن الأشياء التي لا نعيرها أهتمام تكون هي نواة الحقيقة.

أخذا الدكتور فؤاد الدعوة وقال لها: ليست هواياتي المسارح. أذكر جيدا أني لم أدخل مسرح طوال حياتي ولكن اذا وجدت الفرصة سانحة ستجديني من الحاضرين وأتمني لك الشفاء.

أبتسمت وقالت: أتمني أن تحضر. ستري أشياء لم تراها من قبل.

خرجت شادن مسرعة كانت الساعة قاربت علي العاشرة قالت وهي تدير الاسكوتر : آن الآوان لكي تتحمل مهامك كأب. الي متي ستظل تعتقد أنك ناجح؟!!!!!!

عادت الي المنزل.. وجدت سيف منتظرا أمام المنزل قال لها:

- أين كنت في هذا الوقت؟

وما شأنك؟ هل أنت ولي أمري؟

- شادن. كفي عن تعاملك معي باللامبالاة.

قالت بعد نفاذ صبر:

الساعة الحادية عشر الآن.. الوقت تأخر.. ماذا تريد؟

- نعود كما كنا.

لقد تركت بمزاجك وهذا حقك.. لكن أن تعود فهذا بمزاجي أنا. وأنا لا أعتقد أن ذلك سيحدث. زيزي تعشمت فيك وأنا أري أنكم تليقان ببعضكم جدا.

أنت لا تفهمين شئ. زيزي مجرد حالة تقارب وأنت لم تفهمي ذلك.

صاحت شادن: ولكنها فهمت أنه حب وتعاملت علي أساس ذلك وحملتني نتيجة تغيرك من ناحيتها هذه الأيام.. أنت تسببت في ايذائي بكل الطرق وأنا لدي ما يكفيني.

- وكريم هو الذي يكفيك الآن؟

هذا ليس من شأنك.. لقد أنتهينا. لست مجبرة علي تبرير تصرفاتي. لقد أنتهي ويجب أن تفهم ذلك.

شدها من ذراعها عندما بدأت بالمغادرة وقال بحدة: لن يأخذك أحد مني.

صرخت فترك ذراعها وأسرع منصرفا.

أخذ الدكتور فؤاد الدعوة. ووضعها في السيارة وعاد الي منزله.

صعدت شادن الي منزلها غاضبة تدلك ذراعها وتقول : أصبحت الآن أملأ عينه الفارغة بعد أن تركني. عاد بعد أن وجد مكانه الفارغ ممتلئ بغيره. وقح.

في صباح ذلك اليوم أستيقظت جينا باكرا ولمت شعرها ذيل حصان.. كانت هنا ذاهبة الي الجامعة في أخر يوم محاضرات استعدادا لامتحانات أخر العام التي ستحل بعد أسبوعين. تناولا الافطار معا وشربت جينا قهوتها وبدأت تدندن بيتها وبين نفسها علي المقطوعات التي ستعزفها ثم أخذت الكمان وجلست في الحديقة وبدأت تتدرب تدريبها الأخير. ثم أتصلت بوالدتها لتؤكد عليها حضورها في الموعد المحدد. ثم أتصلت بحسام الذي ظل يشجعها ويخبرها أنها ستكون رائعة مثل كل مرة.

كانت فقرة جينا عبارة عن ظهورها وحدها علي المسرح من خلال بقعة ضوء مسلطة عليها وحدها وهي تعزف مقطوعة بعد عدة مشاهد ثم يليها باقي المشاهد أي أن فقرات عزفها ستكون في نهاية مشاهد معينة لاحداث تأثير نفسي بعد المشهد من خلال الموسيقي.

جهزت شادن حقيبة صغيرة وضعت بها بعض الأدوية و طقم قطني احتياطي وحذاء رياضي.. دخلت والدتها الي غرفتها وجلست علي

سريرها ومدت يدها علي الفراش تتلمسه وقالت: شادن. أتمني أن تكون ليلتك سعيدة.

فتحت شادن النافذة لتدخل الشمس وقالت: لا تقلقي يا أمي كل شئ يمر في هذه الحياة وستمر الليلة هذه التي تخافين منها متذ أن أخبرتك عنها.

وضعت لها والدتها صينية الافطار وقالت: تناوليه كله. لديك يوم طويل وشاق

ضحكت شادن وجلست تتناول أفطارها.

خرجت والدتها من الغرفة.. فجأة أختفت الابتسامة. هل نقلت أمي العدوي لي؟ هل أنقباض قلبي هذا طبيعي أم أنه من الخوف؟ أشعر أن هناك شئ سيحدث لي. ما الذي حدث؟ أشعر بشئ مخيف.

بعد ساعات. ذهبوا جميعا الي مسرح السلام. بدلوا ثيابهم ووضعوا ماكياجهم.. رغم أنهم مغمورين ورغم أنهم لم يدعوا سوي المقربين متهم فقط ويعدون علي الأصابع الا أن الحضور كان كامل العدد وكانت زيزي تذهب بين الحين والآخر تتسحب علي أطراف أصابعها وتنظر من خلف الستارة وشعرت بسعادة غامرة عندما وجدت العدد كامل الا قليل.

كانت والدة جينا وخالها وحسام وهنا ووالدة شادن ووالدها وعائلة كريم وزملائه في الجامعة وعائلة زيزي وسيف وبعض زملائه وفي أخر لحظة حضر الدكتور فؤاد والد جينا.

أما باقي الصفوف فكان الحضور من ضباط الداخلية يرتدون مدني وبعض من ضباط المخابرات وبالطبع كان بيتر أخذ مكانه في الخلف ليكشف كل المسرح أمامه.

كان الضابط قد أتفق مع باقي فرقته علي القبض عليهم بعد انتهاء العرض وبعد دخولهم لغرفة تبديل الملابس وفور خروجهم من الغرفة يأخذوهم بالقوة قبل أن يبلغوا أحد من أهلهم. فوقفت مجموعة من الضباط بثياب مدنية علي مقربة من الغرف استعدادا للحظة القبض عليهم.

بدأ العرض. أنتهي المشهد الأول. ظهرت جينا أدت مقطوعتها الأولي. المشهد الثاني. ظهرت جينا أدت مقطوعتها الثانية. المشهد الثالث. جينا

تؤدي مقطوعتها الثالثة. المشهد الرابع والأخير. جينا تؤدي مقطوعتها الأخيرة.

كدلو ثلج سقط علي رأسه فجأة. هذا هو شعور الدكتور فؤاد. غير واعي لما يراه أمامه وغير مصدق لعينه.. بالتأكيد هي فتاة تشبه أبنتي.

أنتهي العرض.. تصفيق الحضور. تعريف كريم بكل من شاركه العرض وشكرهم جميعا أمام الجمهور.

وقف الجميع. ظل هو ثابت في مكانه. حتي الاسم هو نفسه. أنها جينا.. ماذا يحدث؟

نزلت الستار. أسرعت جينا لتخرج لكن زيزي شدتها وقالت : أنتظري سترفع مرة أخري ومسكت يدها بقوة.. أما جينا فكانت هذه النهاية بالنسبة لها أنه هنا. لقد حان وقت الهروب.. بعد. رفع الستارة مرة أخري شعرت والدتها أنها مضطربة وأشارت لها علي شئ ما برأسها. نظرت والدة جينا خلفها فوجدت زوجها.. نظر لها نظرة حادة وذهب.

قاد سيارته بسرعة جنونية حتي وصل الي عيادته. فتحها وأشعل الضوء وشغل جهاز الكمبيوتر الخاص بالسكرتارية وبحث في ملفات الحالات التي كانت تتردد عليه (ش) حتي عثر علي ملف شادن. أسمها شادن فكري.. طالبة بمعهد الموسيقي العربية بالفرقة الثانية. تذكر كلامها له عندما جاءت تعطيه تذكرة العرض ثم سؤالها له عن اذا ما كان لديه أبنة تدرس في معهد الموسيقي العربية.. وضع يده علي وجهه في محاولة لفهم ما يحدث. لماذا أبنتي تفعل هذا وبمباركة والدتها. أنا آخر من يعلم. علي مدار عامين تخدعني وتركت الطب ولم تكمل دراستها؟ والأموال التي يتم تحويلها الي حسابها في لندن ماذا تفعل بها وكيف تصلها؟ الموضوع معقد وأنا عاجز عن فهم أي شئ. لابد من مواجهتها.. لماذا لعبت كل هذه اللعبة الكبيرة؟!!!!!

قال خال جينا الي شقيقته: من الأفضل أن لا تقتربي منه هذه الليلة.. فبنسبة تسعين بالمائة ستقع بينكم مشاجرة كبيرة. أقضي يومان عندنا مع جينا حتي نرتب ما سنقوله له.

وافقت علي هذا الأمر وأنتظرت خروج جينا من المسرح وجلسوا داخل السيارة.

تم حصارهم لحظة خروجهم من غرفة الملابس وألقوا بهم داخل سيارتين ووضعوا غمامة علي عيونهم ووضعوهم بداخل غرفة كبيرة وحدهم ليسمعوا ماذا سيقولوا لبعضهم البعض بعد أن أزالوا الغمامة عن عيونهم.

نظروا لبعضهم في تعجب وذهول. قالت زيزي: نحن مقبوض علينا.. أليس كذلك أم أننا تعرضنا للخطف؟

قالت شادن: هل أحد منكم قام بمخالفة مرورية أو أقساط متأخرة؟ جميعهم نفي

قال كريم: جميع تصاريح العرض سليمة وأوراقي كلها مستوفاة.

قالت زيزي: اذن لماذا نحن هنا.

قالت جينا: الشئ الذي يجمعنا هو المسرحية.

قال كريم: وما علاقة المسرحية بما نحن فيه لقد أقتبستها من رواية لكاتب روسي كتبها ابان الحرب العالمية الاولي وقمت بعمل معالجة وأختصار لها حتي تناسب تقاليدنا الشرقية. أنا لا أفهم أي شئ.

يقال أن العقول الشريرة والنفوس المريضة تعتقد أن الجميع يفكر مثلها ويفعل مثلها.. قال الضابط لزميله: أنهم لا يفهمون لماذا هم هنا. يجب أن يفهموا. أدخل التي تدعي شادن أليست هي من كانت تقوم بدور الثوار!!! ثم ضحك.

فتحت الغرفة. تقدم الضابط من شادن وفك يدها وشدها الي مكتب التحقيقات.

بمعني أصح قام برزعها علي الكرسي. لم تنطق. قال لها الضابط : أسمك:

قالت: شادن فكري.

ما هو عمل والدك: ليس ضابط. أنه أستاذ جامعي.

- ولماذا قلت أنه ليس ضابط؟

حتي تطمئن أنه ليس في نفس مجالك.

- تعلمين لماذا أنت هنا؟

لا.

- هل تريدين أن تعلمي؟

من فضلك.

بلدنا مرت بظروف صعبة وهناك أطراف كثيرة تتمني لهذه البلد أن تقع. نحن نعمل كأجهزة أمنية وجيش علي توفير الحماية والنظام مقابل الأمن الذي نوفره لكم وأنتم بعد ذلك تقوموا بمجازاتنا بعمل مسرحية تتنتقدون فيها البلاد وتتحدثون عن ثورة وتخريب مرة أخري. نحن نعيش علي طرف سكين في هذه البلاد. كل ما نريده منكم هو مكافأتنا علي حمايتكم والهتاف لنا وتشجيعنا علي تحملكم وتحمل غبائكم. هل فهمت؟

- نعم فهمت.

ماذا فهمت؟

- فهمت أن البطحة كبيرة جدا علي رأس النظام.

لم تري النور بعدها. قام بصفعها علي وجهها قفزت من الكرسي علي الأرض وفقدت الوعي وسال الدم من أنفها..

قال الضابط: غبية. ساعدها في القيام. أجعلها تستعيد وعيها لم أبدأ التحقيق معها بعد.

ظل الضابط الآخر يطبل علي خدها حتي تفيق والدم يسيل من أنفها. قال:

أنها لا تستجيب والنزيف لا يتوقف..

ألقها في ركن هنا حتي تقوم وحدها. أدخل هذا البطل:

دخل كريم وفور أن جلس. وجد رجلان يحيطان بشادن يحاولان أن يوقفا النزيف.. قال بحنقة:

- أنا المسئول الوحيد عن هذه المسرحية. هي ليس لها أي علاقة.. من فضلك أنا مستعد أن أتحمل مسئوليتي كاملة. هم زملاء لي لم

يقصدوا أي شئ سوي أن يساعدوني في مشروع تخرجي.. من فضلك أخرجهم من هنا وحاسبني وحدي.

قال الضابط: أجلس. وأخبرني لماذا قمت باختيار هذه المسرحية بالتحديد؟

قال كريم: قرأتها عندما كنت في السابعة عشر وتأثرت بها ونويت أن أجعلها مشروع تخرجي.

قال الضابط: وما الذي جعلك تتأثر بها لهذا الحد؟

قال كريم: أنها ميول.. كل انسان يميل لبعض القصص التي يقرأها في حين أن هناك من يقرأها ولا تأخذ مساحة من تفكيره. كل شخص له ميول.

قام الضابط في أخر الأمر بجر شادن علي الأرض وألقاها في غرفة أخري وأغلق الباب قال كريم: من فضلك أتركها.. هي لم تفعل شئ أنا من قمت بعرض الأمر عليها و.

قاطعه الضابط وقال: أنها عديمة التربية اذا لم تكن فعلت شئ قبل أن تدخل هنا فقد فعلت منذ قليل. قالت لي عندما حاولت أن أشرح لها معني الوطنية بأن البطحة كبيرة علي رأس النظام. هل يعجبك هذا؟ هل توافق علي كلامها أيها البطل الهمام؟

قال كريم: قبضتم علينا ولم نكن نعلم ماذا فعلنا. وبعد أن فهمنا أدركت شئ هام وهو أن نظامك فتح عيوننا علي أشياء لم تخطر في بالنا من الأساس. ربما شادن لم تقصد الجملة بمعناها الحرفي كانت تقصد أن النظام يعاني من حساسية شديدة.

دخل الضابط وقال: لقد أستعادت وعيها.

أشار له المحقق: أدخلها عندما أنتهي من التحقيق مع البطل.

كانت زيزي قد أصيبت بهستريا ضحك.. قالت لجينا: كم أنا مغفلة.. كنت كل نصف ساعة أذهب لأري اذا كان المسرح قد أمتلأ عن آخره أم لا وشعرت بسعادة عندما وجدته شبه كامل. ثم فهمت الآن أن أغلب الحضور كانوا ضباط وواصلت الضحك بشكل جنوني. ثم أكملت : ولكن أكثر شئ يجعلني أضحك هو أني كنت أقوم بدور النظام الديكتاتوري.

قالت جينا: أهدئي.. أنت في حاجة الي مهدئ. يبدو أنك تحت تأثير صدمة قوية.

قالت زيزي : هل تعتقدين أنهم سيخففون عني العقاب لأننا ديكتاتوريين مثل بعض. ضحك متواصل.

جينا لم ترد ولكنها قالت بصوت خافت: هذا هو البؤس بعينه.

ظلت شادن جالسة في أرضية الغرف ويقف علي الباب رجلان. مسحت أنفها. شعرت أن جلد بشرتها مشدود من الدم الذي جف تحت أنفها. ليس معها ماء لتمسح وجهها وأنفها. كانت تشعر بطنين في أذنها بسبب الصفعة القوية من كف هذا العملاق الذي طال أكبر قدر من وجهها.

كانت هادئة تتذكر أن أخر مرة بكت فيها بحرقة عندما كانت طفلة وكان بسبب أن الدب الذي تلعب به لم يرد عليها لأن بطاريته فارغة وذهبت والدتها لتشتري لها بطارية جديدة للدب حتي يستطيع أن يرد عليها وتكف عن البكاء. كانت أحلامي صغيرة. ماذا حدث أوصلني الي هنا؟

ذهب خال جينا ووالدتها يسألوا عمال المسرح عن ممثلين العرض فقال أحدهم : لقد أخذتهم سيارة اللهم أحفظنا بعدالعرض مباشرة.

نظرت والدة جينا الي شقيقها وقالت : ما معني سيارة اللهم أحفظنا؟

قال خال جينا: تحدث بوضوح.. تقصد سيارة من؟

نظر العامل حوله ثم قال بصوت خافت: أمن قومي.

قالت والدة جينا: ماذا؟ أبنتي أنا معتقلة في الأمن القومي؟ لماذا؟ ماذا فعلت؟

أتصلت والدة شادن بها وأخبرتها ما قاله لها عامل شباك التذاكر ورجل أمن يقف علي البوابة حيث أكد لوالدة شادن أنهم كانوا يضعون العصابات السوداء علي عيونهم وحشروهم بداخل السيارة عنوة كأنهم مجرمين خطرين.

ذهبت والدة جينا ومن قبلها والدا شادن ومن بعدهم عائلة كريم وزيزي وسيف الذي لم يبرح مكان المسرح.

أتصل عامل شباك التذاكر بأحدهم وقال: لقد قمت باللازم وأبلغت أهلهم أن الأمن القومي أخذهم.

لم يراهم أحد وهم يركبون أي شئ ولم يشعر بلحظة القبض عليهم أحد ولكن كان الضابط المسئول عن مراقبة الهواتف أتفق مع وزير الداخلية علي أن يخبروا أهاليهم بمكانهم ليتصرفوا قبل فوات الآوان لانقاذ أبنائهم وبناتهم دون أن يشعر الضابط المكلف بالتحقيق معهم بأي شئ.

كانت جينا جالسة تنتظر دورها عندما وصلت زيزي الي مرحلة البكاء المتواصل دون انقطاع.

خرج كريم من غرفة المحقق بعد أن وقع علي أنه المسئول الوحيد عن هذا العمل وأن جميع زملائه ليسوا مذنبين.

قال الضابط : أدخل المدعوة جينا وأترك شادن حتي يجف نزيفها.

دخلت جينا وجلست سألها:

- أسمك رباعي.

قالت جينا : ممتنعة عن الاجابة لحين حضور محامي.

قال المحقق للرجل الذي يكتب ورائه : أكتب ممتنعة عن الكلام.

كادت شادن أن تسقط رأسها عندما غافلها النوم فأيقظها الضابط بأن تستعد للدخول مرة أخري للمحقق لاستكمال التحقيق.. فركت عينيها وجلست مستعدة.

بالأمس كان النوم في فراشي أعتبره بديهة من البديهيات واليوم أصبح نومي في فراشي حلم من الأحلام صعبة التحقيق. بعيدة المنال. الأمور تتغير بشكل مخيف يجعلني أفقد الايمان بكل الأشياء من حولي.

خرجت جينا من غرفة التحقيق ويمسكها أحد الضباط من معصمها بعنف واضح وأدخلها الغرفة التي كانت فيها. جلست مع زيزي مرة أخري التي جن جنونها هذه المرة وبدأت سيل من الأسئلة الفضولية. ماذا قالوا لك؟ ماذا فعلوا معك؟ لماذا عدت بهذه السرعة؟ لماذا لم يحققوا معك باستفاضة؟ أخبريني هل سيقتلوننا؟ أنطقي. ماذا حدث؟ أين باقي الفريق؟ كريم؟ شادن؟

صرخت فيها جينا: أمامك خياران لا ثالث لهما أما أن تخرسي أو تخرسي.

أبتلعت ريقها بصعوبة ثم بدأت بالبكاء مرة أخري.

جلست شادن أمام المحقق الذي أشعل سيجارة وقال لها ساخرا:

كيف حالك أيتها البطلة.. أعتقد أن تقمصك للدور جعلك لن تخرجي منه بسهولة.

كان هناك غيوم بيضاء أمام عيونها.. ظنت نفسها تحلم أو أنها أنتقلت الي العالم الآخر.. ذكرياتها مع سيف تمر أمامها مواقف عديدة. نظرت نحو المحقق وجدت شفاه تتحدث وفم يفتح ويغلق ويضم ويقفل.. هناك شخص يتحدث لكنها لا تسمع أحد. هل أنا في غيبوبة؟ تذكرت موقفها الأول مع جينا.. ثورتها الداخلية علي التي أخذت منها فرصة الأداء. الفستان الأسود الذي اشترته ولم ترتديه حتي الآن.. تذكرت عندما وجدت سيف وزيزي يمسكان بأيد بعضهما دون خجل أمامها. تذكرت عندما أخبرها الطبيب أنها مصابة بسرطان في البنكرياس. تذكرت خوف والدتها من أداء المسرحية وشعورها بالتشاؤم. نظرت مرة أخري الي المحقق وجدت فمه مازال يقوم بمهمته الحقيرة تتحرك باستمرار. موعد الجراحة. السقوط أرضا. فراشي. أمي التي تنتظرني. مازالت شفاه المحقق تتحرك وتعلن أنتصار النظام علي كل من يعارضه.

شعرت بيد المحقق تحرك رأسها. مازالت الغيوم البيضاء أمام عيونها مثل ستارة. أين أنتي يا أمي؟ وسقطت مغشيا عليها.

أخرجها وأدخل المدعوة زيزي. حملها أحدهم وهو في طريقه الي وضعها في أحد الغرف شاهدتها زيزي فوضعت يدها علي فمها وشهقت وشعرت بالفزع ودفعها الضابط الي غرفة المحقق.

- أسمك

زيزي رؤوف.. تسعة عشر سنة. مصرية. مسلمة. في الفرقة الثانية من معهد الموسيقي العربية.

- من الذي حرضك علي القيام بهذا العمل؟

أعمال السنة هي التي حرضتني علي المشاركة. نشاط صيفي سيتم أضافة درجاته لأعمال السنة.

- من الشخص الذي حرضك علي الموافقة علي القيام بعمل ضد النظام؟

لا أحد. قمت بذلك من أجل أعمال السنة.

- تنكرين اذن؟

تريدني أن أعترف بشئ لم أفعله. هذا أمر عجيب.

- وما العجيب في السؤال؟ أخبريني من حر ضك وستخرجين فورا؟

أعمال السنة.

أشار الي الضابط ليأخذها من أمامه وقال للضابط.. لا تدخل أحد.

أستدارت زيزي وسألته: هل بامكاني أن أطمئن علي شادن؟

قال المحقق: لا.

خرجت وهي تشعر بالبغض لهذا الرجل القاسي.

دخلت عند جينا التي فور أن رآتها أدارت وجهها.. أقتربت من جينا وأخبرتها بوضع شادن وقالت: لقد حرقت قلبي عندما وجدتها محمولة. والدماء تغطي وجهها.

قالت جينا: أسكتي من فضلك.. لا أريد أن أسمع شئ.. نبرة صوتك تثير أعصابي.

ذهبت والدة جينا الي زوجها الدكتور فؤاد الذي أستقبلها بكل هدوء.. دخلت العيادة وجلست أمامه تنظر الي الأسفل.. قال لها: لماذا جئت؟ هناك لعبة أخري؟ كذبة أخري؟

قالت وهي تمسح دموعها: جينا ضاعت وأنت من تسبب في ذلك.. أبنتك مقبوض عليها ولا نعرف مكانها.

من المفترض أن أصفق لهذا أيضا. أليس كذلك؟

بعد أنتهاء العرض الذي كنا فيه أنتظرتها عند بوابة الخروج ولم تخرج لا هي ولا أي أحد من زملائها في الفرقة.. ثم بعد مرور ساعات أخبرنا البواب أن سيارة من الأمن الوطني سحبتهم وأنطلقت بهم الي جهة غير معلومة وقالوا أن المسرحية تحرض علي اثارة المشاكل في البلاد والتحريض ضد النظام.

أعتدل الدكتور فؤاد في جلسته ثم قال: ومن الذي أحضر جينا الي هنا؟ وأخفي عني أنها تدرس موسيقي وتركت الطب؟ وتسكن علي بعد مترات مني ولا أعلم؟ أخبريني بما لا أعلمه وكيف وصلنا الي هنا؟

أضطرت زوجته أن تخبره بكل شئ. حتي يحاول مساعدة جينا. بعد أن أنتهت من حديثها قال لها: هل تم القبض علي كل المجموعة المشاركة؟

- نعم.. كلهم.

أتصل بأحد أصدقائه المقربين من أحد الوزراء وشرح له الموقف بالتفصيل فقال له أنه سيتصرف ولكن الأمر يحتاج بعض الوقت لكي يعرف مكانهم.

وضع السماعة وظل ينتظر رد. ساعة مرت.. هو جالس علي كرسيه مطأطئ الرأس وزوجته جالسة تبكي وتنظر أسفل قدميها. صمت عميق. كان يعيد بين نفسه حديث زوجته عن جينا.. كأنها تتحدث عن جينا أخري غير التي يعرفها. لقد تغيرت كثيرا عن أخر مرة رآها فيها منذ خمس سنوات. صعب عليه تصديق أنها هي التي كانت تعزف أمامه علي خشبة المسرح. عبقرية.. تجيد كل شئ تتعلمه.. وتنجح فيه.. وقعت في شراك نصبه لها تشاو الحقير ونجحت في أجتيازه. كان يريد استغلال ابنتي ثم يقتلها.. هربت وأختفت ودرست في مجال أخر حتي لا يعثر عليها.. كانت وضعت خطة جيدة لولا ذهاب والدتها اليها أخر مرة فجأة وبعدها أنكشف أمرها. لهذا كانت لا تريد لأحد أن يزورها حتي لا يتعقبوا أثرها. كبرت حقا كبرت بشكل مخيف.

رن الهاتف. مد يده ورد قال له صديقه : سأذهب معك برفقة شخصية بارزة لرؤية أبنتك.. موقف أبنتك سئ.. هناك من وشي بهم ويطلقون

عليهم فرقة مسرح السلام.. لكن لا بأس. أستعد غدا سنذهب في الواحدة ظهرا الي صديق ووعدني أنه سيتولي الأمر ويجعلك تراها..

أشارت والدة جينا اليه أنها تريد أن تراها فقال له : لا بأس.

وضع السماعة ثم قال لوالدة جينا : هناك أمر يجب أن أخبرك به ولكن لا تغضبي.

قالت له : ما هو؟

قال لها: هناك من هي أحق بالذهاب لرؤية أبنتها بدلا منك

قالت : ماذا تقصد؟

سأخبرك.

في صباح اليوم التالي.. ذهب الدكتور فؤاد مع صديقه برفقة أحد الأشخاص ومعهم والدة شادن. سمح الضابط للدكتور فؤاد بالدخول لرؤية أبنته ولكن جينا رفضت مقابلته. وأشتعل الغضب بداخلها. لا داعي أن نكون أعقل العاقلين أمام الناس وأكثر الأشخاص المتماسكين وفي نظر الجميع أكثرهم رصانة وبشهادة الجميع أكثرهم تعقلا. لكن رغم ذلك هناك موقف أو ذكري أو شخص كفيل بأن يفقدنا صوابنا ويدخلنا في متاهات الجنون ويفرغنا من أحترامنا لأنفسنا وللجميع ويهدم نظرة الوقار التي كانت شاهقة في نظر الجميع.

دفعها الضابط بقوة لمقابلة والدها عنوة.. أدخلها غرفة وأغلق الباب. بدأت الشرارات تتطاير أمام عينيها. فركت عيونها.. مازالت تري شرارات نور تزغلل عيونها. وجدته أمامها.. في غرفة مغلقة. بدأت ترتبك تعقد أصابع يدها بعنف. تهز قدمها بعنف. تنظر الي الحائط.. لا تريد أن تنظر له. ظلت تهمس لنفسها. لا تنظر لي. أتمني من الله أن تخسفني الأرض حتي لا تراني مرة أخري. أو أن تصاب بعمي في عيونك ويحرمك الله من رؤيتي. لن أسمح لك بأن تنظر لي أبدا. لابد أن تحرم من رؤيتي الي الأبد. لا تحرقني بنظراتك اللعينة هذه.

ثم صرخت: أدر وجهك. لا تنظر لي وظلت تصرخ. أبتعد عني. لا أريد رؤيتك. حتي دخل الضابط وأخرجها وهي في حالة هستريا واضحة.

أسرع الضابط يخبر المحقق بأن والدة شادن هنا وأن الفتاة في غيبوبة منذ أمس.. أرتبك المحقق وقام وخرج مع الضابط وقال له: أغسل وجهها من الدماء التي عليها وحاول أن تجعلها تستعيد وعيها.

قال الضابط : مسحت وجهها ولكن طرف فمها متورم من الضربة ودخلت في غيبوبة وجسدها كالثلج.

خرج الدكتور فؤاد من المكتب وجد والدة شادن مازالت تنتظر أن تقابل أبنتها.. سألته: هل قابلت أبنتك؟

هز كتفه دون أن يصلها منه رد واضح.. ثم سألها: لماذا تأخرت شادن؟

قالت والدتها: أشعر بشئ سئ. لقد تأخرت كثيرا.

كان الضابط الذي رافقهم يتحدث مع أحد الضباط همسا ثم تحول الهمس الي جدل ويبدو أنه تشاجر مكتوم.. نظراته ملقاه ما بين وجه الدكتور فؤاد ووالدة شادن.

ثم قال: سأحسم الأمر.

أقترب من والدة شادن وقال لها: رافقيني. أبنتك مريضة ولن تستطيع أن تأتي. سنذهب نحن لها.

مسكت بالباب كأن دوار لعب برأسها مباراة كاملة.. ثم تشبثت بذراع الدكتور فؤاد وذهبا الي غرفة مظلمة بها رطوبة لها رائحة قوية. قال الضابط : سأتركك معها ربما تستجيب عندما تسمع صوتك. ظل الدكتور فؤاد واقفا في مكانه يراقب هذا الحدث الغريب ثم قال لوالدة شادن : ألمسيها. الجلد سيرسل تنبيهات للعقل بأن شخص يحبها هنا ستفيق من غيبوتها.. أستمري في ذلك مع حديثك لها.. فقدانها الوعي هنا جاء نتيجة رغبة العقل الباطن في رفض الواقع الذي تعيشه ففضل الانفصال والهروب.

مدت والدتها يدها تلمس أبنتها وتحدثها برفق: والدك كان يريد أن يأتي ولكن لم يستطع. لابد أن تستجمعي قوتك حتي تستطيعين أن تكملي مشوارك مع العلاج. سنخبرهم أنك مريضة وفي أنتظار عملية جراحية عاجلة وستخرجين فور أن تنتهي الأجراءات. غرفتك تركتها كما هي فور

مغادرتك لها. فراشك ينتظرك. لقد أنهيت أخر قسط من الاسكوتر. ظننت أن شرائه لكي سيخفف من صدمتك العاطفية ويجعلك تشعرين بالسعادة. ربما جاء متآخرا. كان يجب أن أشتريه لكي عندما قمت بطلبه منذ سنتان ولكن كنت أخاف عليك من الزحام والسيارات ولكن عندما وجدتك حزينة بعد فشل علاقتك قررت أن أشتريه ولكنه لم ينجح في أسعادك. أتمني أن تشعري بوجودي وبأني سألبي كل طلباتك فور أن تقومي من عمليتك. هيا. أريني القوة الكامنة بك التي طالما كنت تفاجئينا بها.

أشعل الدكتور فؤاد سيجارة وظل يراقب جسدها الساكن. هل فشلت في التشخيص؟ اذا كانت رافضة للواقع وأنفصلت عنه كانت أستجابت للاستثارات الحسية التي تصدر من والدتها. هناك شئ غير مفهوم.

نظرت والدة شادن له وهي تقول والخوف يقتلها: أنها لا تستجيب.. لا تستجيب.

قال الدكتور فؤاد : أستمري. لا تيأسي.

طرق الضابط علي الغرفة ودخل ثم قال: يجب أن نذهب.

قال الدكتور فؤاد: بضع دقائق من فضلك.

قال الضابط: وجودنا هنا ليس بشكل صحيح ومخالف للقوانين. لقد قمت بذلك استغلالا لعلاقتي الطيبة مع مدير الأمن.. الزيارة ودية يجب أن نذهب.

قال الدكتور فؤاد: فقط بضع دقائق. ربما تستجيب.

رن الهاتف أثناء وقوفهم. رد الضابط ثم تلون وجهه ثم خرج من الغرفة وظل يستمع بانتباه شديد ثم قال: حسنا. أنا سأتصرف.

أغلق الهاتف ثم ذهب الي مكتب المحقق وهو يكتم غيظه وقال له:

أعطني أسماء مجموعة مسرح السلام.

بعد تردد أخرج المحقق ملف مكون من ورقة واحدة.. فتحها الضابط وقرأها ثم قال للمحقق: أقرأ هذا الاسم.

نظر المحقق الي الاسم وقال: زيزي رؤوف.. ثم تعجب.

قال الضابط: رؤوف حسين كامل شبل. المهندس و المشرف العام علي مشروعات القيادة.

قال المحقق: لا دخل لي بذلك.. النظام فوق الجميع.

قال الضابط: لقد أوقف العمل في جميع المشروعات وسحب جميع عملائه.. أستمر في الغطرسة.

خرج الضابط من غرفة المحقق وذهب ليأخذ الدكتور فؤاد ووالدة شادن. فور دخوله أشار لهم : يجب أن نمشي فورا. أعتقد أن الأمور بدأت تأخذ مسار آخر.

دخل حسام الي مبني السفارة البريطانية بعد أن تمت الموافقة له علي طلب المقابلة لأمر هام وبعد أن دخل قام بالابلاغ عن شخصية رجل يدعي بيتر وقدم صورة من أصابته بالمستشفي عندما صدمه وقال أنه يدعي أنه يعمل في السفارة ولكني شككت بأمره ثم تفاجئت به مقيد بصفة طالب في معهد الموسيقي العربية وبنفس الاسم.

تم أخذ المستندات التي معه علي أنها أدلة علي وعد بالتحري في الأمر خاصة لأن الأمر يتعلق بسمعة السفارة.

خرجت والدة شادن بصحبة الدكتور فؤاد وقبل أن يغلق الباب سمعت أبنتها تقول : لقد عدت يا أمي.

نظرت الي الدكتور فؤاد وقالت: هل سمعت؟ لقد أستعادت وعيها.

تم غلق الباب .لا يمكننا الرجوع اليها.

أطفئ المحقق سيجارته بعصبية وقال للضابط عندما دخل:

أذا كانت الفتاة أستعادت وعيها أرسلها في غرفة الحجز مع زملائها.

دخل الضابط الي شادن وساعدها علي القيام وأدخلها مع زيزي وجينا . جلست بينهم وبعد أن أطمأنوا عليها أسترخت ووضعت رأسها علي حجر جينا وأغمضت عيونها.

دخل الضابط وقال : تناولوا طعامكم . وساعدوا زميلتكم لكي تأكل معكم ولقد أرسلنا في طلب طبيب متخصص في الأورام في طريقه الي هنا.

وضعت زيزي يدها علي فمها مصدومة مما سمعته. ثم مدت يدها نحو شادن وقالت لها : شادن . أستيقظي لتأكلي.

رفعت رأسها بصعوبة . لاحظت جينا أن درجة حرارتها مرتفعة . قالت لها:

- شادن . يجب أن تتناولي بعض الطعام الطبيب سيأتي وسيعطيك بعض الأدوية لتزول الحرارة.

قامت زيزي بعمل ساندويتش لها وقدمته لها وقالت : يجب أن تتناولي شيئا حتي تستطعين الوقوف علي قدمك.

أخذت الساندويتش وقالت : شكرا.

بعد ساعة . أتصل مساعد وزير الداخلية بالمحقق وقال له : أفرج عن مجموعة مسرح السلام.

قال المحقق : غدا صباحا سأطلق سراحهم.

قال مساعد وزير الداخلية: مثلما أخذتهم ليلا . أعدهم الي منازلهم ليلا.

صافرة أنقطاع الخط . ظل المحقق ينظر الي السماعة وقال بغيظ : لقد أغلق في وجهي.

ضغط علي الزر . ظهر معاونه أمامه وقال له المحقق: أرسل لي كريم.

عاد المعاون ومعه كريم وقال له المحقق : وقع هنا.

رفع كريم الورقة وقرأها . أنها اقرار منه أنه هو المسئول عن هذه المسرحية.

أبتسم كريم وقال : سأوقع عليها بالطبع لأنها كانت مشروع تخرجي ولا أستطيع أن أنكر ذلك ولكني أعتقد أن هناك شخص فلت من العقاب.

قال المحقق : من هو ؟

قال كريم : الكاتب الروسي الحقير الذي ألف هذه الرواية أبان الحرب العالمية يبدو أنه متواطئ لقلب نظام الحكم.

وقف المحقق وقال لكريم : رفقا بمستقبلك ستخرج ولكنك ستظل تحت المجهر وهذه الورقة ستظل هنا في ملفك..

أشار المحقق الي معاونه الذي قام بسحب كريم من أمامه مثل جوال الدقيق.

وبعد أن عاد المعاون قال له المحقق : ألغي أمر الطبيب وأخبره أنه لا داعي لحضوره وفي تمام الواحدة بعد منتصف الليل تأخذهم وتغطي وجوههم وترسلهم بأحد سياراتنا الي أي مكان وتنزلهم علي بعد أثنين كيلو من هنا وألقي لهم كل متعلقاتهم وأتركهم وعد الي هنا.

قال المعاون أمرك يا سيدي.

نظرت زيزي الي جينا ثم قالت ؛ يبدو أن الطبيب تآخر أم أني مخطئة ؟

وضعت جينا يدها علي جبين شادن ثم قالت ؛ حرارتها مرتفعة جدا

قالت زيزي؛ وأعتقد أن الطعام السئ الذي أكلناه منذ ساعة سيزيد من سوء حالتها

مر الوقت كالسلحفاة ؛ لماذا حياتنا لا تساوي شيئا يا ربي ؟ لماذا كل هذا العذاب ؟ هل الأمر يستحق أن تخسر أنسانة روحها ؟ ما هذا البؤس الذي لا يريد أن ينتهي؟

مالت زيزي برأسها الي الخلف علي الجدار وقالت وهي تذرف الدموع؛ أحيانا أشعر بنفسي سيئة وغبية وأنانية ولكني علي يقين من أني لم أفعل شيئا في حياتي يستحق أن أسجن ظلما دون داعي

كانت شادن تسند رأسها علي كتف جينا وتجلس بينهم ليمنحوها بعض الدفء ؛ قالت لنفسها؛ اذا خرجت من هنا سأسجل مذكراتي وأكتب فيها أني نجوت من مطب القلب المكسور ونجوت من السجن واذا كتب الله لي الشفاء سأكتب أيضا أني نجوت من المرض ؛ يارب نجني مما أنا فيه ؛ لا يوجد شئ يستحق الحزن عليه سوي فقدان النوم علي فراشي وحضن أمي؛ لا اله الا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين

فتح الباب وقال الضابط؛ هيا ؛ ستخرجون

قالت زيزي؛ هل أنا أحلم ؟ أم أن ما أسمعه صحيح؟

مسكت جينا بذراع شادن وقالت لها؛ هيا سنخرج ؛ تحملي قليلا حتي نخرج وسأعثر لك علي أقراص خافضة للحرارة.

قالت زيزي؛ لهذا لم يحضروا الطبيب؛ كأنهم يستكترون عليها العلاج

قالت لها جينا؛ فمك هذا ولسانك الذي بداخله اذا تحركوا أكثر من اللازم لن نخرج أبدا

وضعت زيزي يدها علي فمها في أشارة فورية الي الاستجابة للسكوت المطلق دون شروط مسبقة

كأن مسامير تدق في جسدي؛ وأعصابي كلها في تنميل عميق؛ قالتها شادن وهي تتكئ علي جينا وزيزي

قالت جينا؛ أعلم فارتفاع الحرارة لساعات يفعل أكثر من ذلك ؛ نحن معك؛ لا تخافي؛ هيا سنخرج أولا ثم نذهب لأقرب مستشفي فورا

ناولهم الضابط متعلقاتهم الشخصية والحقيبة التي كانت مع شادن بعد أن تأكد أن بطاريات هواتفهم معطلة وليس معهم شواحن ؛ ثم قام بوضع غطاء رأس لكل منهم وأخفض رأسهم بالقوة لتصل الي مستوي أقحامهم بداخل السيارة بطريقة حيوانية

ألتزموا الصمت وشعروا بنسمات الهواء فأبتسموا أبتسامة غير مرئية ثم سمعوا موتور السيارة يعمل وأنطلقت السيارة بهم في صمت مطبق

بعد فترة طالت نوعا ما؛ توقفت السيارة؛ سمعوا فرملة قوية دفعتهم للأمام بقوة

الباب يفتح ؛ يد تمتد ترفع غطاء الرأس وصوت يقول بحزم؛ لا تنظروا في أي اتجاه والا أطلقت الرصاص؛ هيا؛ عودوا الي منازلكم بعد أن أبتعد بالسيارة من هنا

ظلوا مغمضين العيون خوفا من أي حركة طائشة؛ فالكل يخاف علي حريته بعد أن قطعوا تلك المسافة؛ التزموا بالتعليمات وأنتظروا حتي ابتعدت السيارة وفتحوا عيونهم.

صرخت زيزي صرخة فرحة قوية وقالت؛ لقد خرجنا ؛ أفتحوا عيونكم ؛ ضحكوا جميعا من شدة الفرحة؛ وأسرع كريم متجها الي شادن وقال لها؛ كدت أن أموت من القلق عليك؛ كنت سأجن عندما رأيتك تنزفين ؛ لقد تسببت في ايذائك؛ كيف سأسامح نفسي علي ذلك؟ ولكي فعلت كل ما بوسعي ووقعت علي اقرار بأني المسئول عن الذي حدث وحدي؛ من فضلك سامحيني؛ أشعر بتأنيب ضمير أليم تجاهك

ربتت علي كتفه وقالت؛ لقد مرت

فتشت جينا بداخل حقيبة يدها ثم قالت؛ اللعنة؛ جميع الهواتف معطلة وتركنا في منطقة بعيدة كل البعد عن العمران

بدأوا يشعرون بمقدار الخطر الذي هم فيه ؛ قالت زيزي؛ كم الساعة الآن ؟

نظر كريم بساعته وقال؛ أنها الثانية والنصف بعد منتصف الليل

قالت زيزي؛ كم هو ضابط حقير ؛ تركنا في مكان مهجور وليس معنا هواتف ولا شواحن ولا علاج كأنه ينتقم منا ؛ كأنه أطلق سراحنا مجبور

نظرت جينا اليها ؛ كأنها لأول مرة تنطق بشئ نافع ؛ كأنه حقا مجبور وأطلق سراحنا بغير رضاه ؛ هناك شئ غير مفهوم ؛ أسلوبه العدائي تجاهنا واطلاق سراحنا دون رغبة منه ؛ معني ذلك أن هناك من أجبره ولأن الأمر بغير رضاه فقام بتنفيذه بطريقة تخفف من غضبه

فتشت شادن في حقيبتها ؛ سألتها زيزي عن الذي تبحث عنه قالت لها؛ كان معي باور بنك وضعته أمي في قلب الملابس التي في حقيبة.

قالت زيزي؛ حقا؟ ووضعت يدها تبحث معها بداخل الحقيبة وأخرجته وهي تقول؛ والدتك هذه رائعة يا شادن ؛ أين هاتفك ؛ أشحنيه فورا لنطلب الطوارئ ونذهب لأقرب مستشفي

قامت بتوصيل الباور بنك بالهاتف حتي أستقبل الاشارة وقامت بالاتصال بالطوارئ وقالوا ؛ نحن في منطقة مجهولة ولا نعرف كيف نخرج منها

فطلبت منهم الطوارئ تشغيل الجي بي اس وأنتظروا حتي جائتهم المساعدة

كانت الساعة تقارب الثالثة فجرا عندما دخلوا إلى المستشفى واتصلوابأهاليهم لكي يأتوا إليهم؛ كانت جينا تشعر طوال الطريق أن هناك شيء غير طبيعي في حقيبة الكمان الخاصة بها كانت تصدر صوت غريب؛ فكرت في فتحها لتعرف ما مصدر هذا الصوت ولكن الطبيب توجه إليهم بيسأل عن والد شادن فقالت زيزي انهم في الطريق؛ كان مضطرب فأصاب الجميع بالاضطراب؛ نظرت جينا إلى أطراف بلوزتها البيضاء فوجدتها متسخة شعرت بالقرف من نفسها

وجدت الممرضات تهرول من هنا وهناك؛ أشارت لها زيزي بأن هناك أمر ما؛ يبدو أن شادن تدهورت حالتها هكذا قالت زيزي لجينا ثم قالت:

- أخشى أن تموت قبل وصول والديها

نظرت لها جينا بريبة ثم قالت:

- لقد تحملت ما هو أصعب هي قوية.

لم تتحمل جينا الفضول القاتل لمعرفة ماهية الصوت الغريب الموجود بداخل حقيبة الكمان؛ وضعت الحقيبة على الأرض وفتحتها؛ وجدتها حطام؛ مجرد قطع صغيرة وسطر مكتوب بالالة الكاتبة؛ ثمن امتناعك عن الكلام

أغلقت الحقيبة والغضب يحرق اعصابها؛ ماذا كان عساي أن أفعل؟

فمن تكلمت قاموا بضربها؛ ومن سكتت قاموا بكسرها؛ يبدو أن المشاكل لا تريد أن تفارقني؛ كان هناك حركة غير طبيعية؛ يبدو أنها حالة طارئة

.إنها حادثة إطلاق نار حدثت علي الطريق؛ مرت أمامها نقالة تحمل المصاب ينزف بغزارة والجميع يسرع به إلى غرفة العمليات؛ سقطت يدها على جانبيها؛ وتشنجت عضلاتها واحمرت وجناتها وسالت الدموع لا شعوريا على خدها؛ صدق من قال ان المصائب لا تأتي فرادى ولكن لا تخبرني أن الجزء الذي لم اقراه في رواية روميو وجولييت هو الذى حدث؛ انه حسام

كانت زيزي تتابع حالة شادن من خلف الباب بعد أن منعوها من الدخول.

دخل خال جينا ووالدتها فاسرعت تلقى نفسها في أحضان والدتها وهي تنتحب

قالت والدتها؛ ماذا فعلوا بكم؟

لم تفهم شيء من جينا فالكلمات كانت تخرج غارقة في دوامة من التشنج والبكاء.

قال لها خالها؛ اهدي يا جينا.

أشارت إلى المكان الذي أخذوا فيه حسام وقالت بصعوبة بالغة؛ سانتظر حتى اطمئن علي حسام

قالت والدتها؛ أين باقي زملائك؟

زيزي وكريم ينتظرون أمام غرفة شادن وكنت معهم لكن لمحته للتو يدخل وهو ينزف بشدة نتيجة طلق ناري إذا مات يا أمي ساضيع؛ هو الوحيد الذي سندني عندما كنت وحيدة؛ لا أريد أن تنتهي علاقتنا قبل أن تبدأ؛ هذا ليس عدلا

قالت والدة جينا اشفيها؛ خذ انت كريم وزيزي واوصلهم إلى منازلهم وانا سانتظر هنا مع شادن حتى وصول والديها وحتى يطمئن على حسام

قال خال جينا؛ حسنا فقط انتظروني هنا

ذهب خال جينا ليأخذ كريم وزيزي لكنهم رفضوا واكتفت زيزي بالاتصال بأهلها ليطمئنوا عليها وكذلك كريم الذي كان يشعر بتأنيب ضمير كبير لما حدث لشادن بسببه

عاد خال جينا إلى شقيقته وقال؛ لا يريد احد ان يغادر الآن

دخلت والدة شادن ووالدها؛ أسرعت في الدخول لابنتها وهي في حالة يرثى لها كان من الواضح انها وقعت على الأرض وهي تجري واتسخت ملابسها ولم تهتم بتنظيفها وظلت تترجي الطبيب ليسمح لها بالدخول

خرج الطبيب من غرفة العمليات وقال لجينا؛ البقاء لله لقد توفي

جلست على أرضية الطرقة وصرحت صرخة مدوية وظلت تضرب في نفسها

أسرع الجميع إليها لكي يهدؤنها دون جدوى؛ والدتها كانت تعلم أن العقار الذي تأخذه هو الذي سينفعها في تلك اللحظة اخرجته من حقيبتها ووضعته في فمها ووضعت لها طرف الزجاجة في فمها لتبتلع القرص ومرت دقائق صعبة قبل أن يسحبها النوم الي مكان بعيدا عن كل ما عاشته

في تلك اللحظة وصل والد زيزي واخذها معه بالقوة واخبرها أن والدتها مريضة منذ تلك الليلة؛ ذهبت معه وهي غير مصدقة لما حدث للتو لجينا

كانت الساعة قد قاربت على السادسة صباحا عندما وصل شقيق حسام ووالده لينهوا إجراءات تسلم الجثة لدفنها

وبعد ساعة خرجت سيارة إسعاف لتنقل شادن إلى المستشفى التي ستجرى بها العملية؛ استفاقت قليلا ورأت والدتها وشعرت أن روحها ردت لها ثم سألت الطبيب عن جينا وباقي زملائها فقال لها أن الجميع عاد إلى منزله ويجب أن تتعافى انتي الأخرى حتى تعودي مثلهم ولم يخبرها بأي شئ

ظلت جينا وحدها في سبات عميق بجانبها والدتها؛ التي قامت بإرسال رسالة إلى الدكتور فؤاد تخبره بما حدث فأتصل بها على الفور لتشرح له كل ما حدث؛ ثم أقترحت أن يقوموا بحجزها في مصحة نفسية لفترة وتظل تحت رقابة

كان والد زيزي يقود سيارته عندما رآه أحدهم يهم بمغادرة المستشفى ثم ألقى بعقب السيجارة وانطلق خلفه وبعد أن ابتعدوا عن المستشفى بمسافة كبيرة اتصل بأحدهم وقال؛ نفذ؛ السيارة قادمة تجاهك مباشرة

سمع صوت انفجار وزجاجات ينكسر كان الوقت باكر والشوارع خالية ثم اتصل بالضابط الذي كان يتولى التحقيق مع المجموعة وقال له؛ قمنا بعمل اللازم مع المهندس الذي لوي ذراعك ثم قام بالتقاط فيديو للسيارة المشتعلة وأرسله إلى المحقق الذي شعر براحة بعدها وفر الرجل مسرعا بعد أن سمع دوي سيارة إسعاف قادمة

كان الطبيب قد جهز شادن للدخول لغرفة العمليات بعد أن أنهى التحاليل و الأشعات المطلوبة منها

ظلت والدتها تراقبها من خلف النافذة بعد أن جهزوها للدخول للعملية؛ أشارت لها بيدها وابتسامة اختفت رويدا رويدا بعد أن سري المخدر في جسدها

ثم دخلت إلى غرفة العمليات

استقبلت المستشفى حادث السيارة في محاولة يائسة لانقاذ الرجل والفتاة التي اشتعلت سيارتهم منذ قليل؛ الرجل توفي في الحال والفتاة حالتها في غاية الاحراج ودخلوا بها إلى غرفة العمليات ولكن سرعان ما توفت متأثرة بجراحها

كان كريم عاد إلى منزله وتحمم وانتظر واضعا الهاتف بجانبه ليعرف كيف كانت عملية شادن.

ظل المحقق يشعل سيجارة وراء سيجارة وقد إصابته حمى الشر المسمومة في الاستمرار؛ أن تكون ضابط ولك سطوة وتحمل ضغينة لمن يعارضك أو حتى من يثبت لك خطأك في الحكم عليه وتستمر في غطرستك حتى بعد ثبوت خطأك؛ أن تتلذذ بضعف من أمامك؛ أن تكون صاحب شخصية مظلمة؛ هذا قرارك؛ وكل فرد يتحمل نتيجة قراراته

كان الدكتور فؤاد ارسل سيارة إسعاف متخصصة لنقل ابنته إلى المصحة النفسية عندما دخل إلى هناك قالت له الممرضة؛ من الأفضل أن تربط قدميها ويديها في السرير النقال فهناك احتمال انها قد تؤذي نفسها عندما تستعيد وعيها

دخل رجل أمن مهرولا وقال؛ من الأفضل أن لا تسمح لها بالخروج من المستشفى الآن؛

.نظر له الدكتور فؤاد بريبة وقال:

- لماذا؟

اكتفي رجل الأمن بذلك؛كان واضح انه ليس أمن بالمستشفى ولكن الضابط الذي كان يراقب الاتصالات قام بارساله بعد أن تأكد أن المحقق هو الذي حرض على تفجير سيارة المهندس وابنته زيزي و تأكد له أن المحقق

سيستمر في انتقامه الشخصي لأنه كان يعلم أنه شخصية تعاني من جنون العظمة غطرسة السلطة

قال الدكتور فؤاد لرجل الأمن:

- ابنتي في حالة صعبة ويجب نقلها إلى المصحة قبل أن تفيق

قال رجل الأمن؛ لدى تعليمات بعدم خروجها حفاظا على حياتها؛ هناك وحش ينتظرها بالخارج؛ الأمور خرجت عن السيطرة بشكل جنوني ولا أستطيع أن أخبرك بالتفاصيل من فضلك اهتم بما اقوله فأنا لست رجل أمن هنا انا ضابط سري؛ انتظر مني بعض الوقت حتى أتاكد بأن اللحظة مناسبة للخروج من هنا؛ من فضلك؛ الأمر سري؛ لا يوجد داعي لأحداث اي بلبلة

اندهش الدكتور فؤاد وقال لنفسه؛ ماذا يحدث؛ انا لم اعد قادر على استيعاب اي شئ

ذهب ضابط آخر للمستشفى التي بها شادن وقال؛ كل شئ هنا تحت السيطرة؛ لم تظهر أي أشياء مريبة هنا حتى الآن

قال له الضابط الذي يراقب الاتصالات؛ لا تترك مكانك ولا تغيب عنها لحظة

خرجت شادن من غرفة العمليات؛ وبدأت رويدا رويدا تستعيد وعيها عندما مدت يدها تحت الغطاء تتحسس بقعة دماء كبيرة على ملابسها؛ أدارت وجهها إلى الحائط لتخفي دموعها التي سالت شفقة على نفسها وعلى حالتها التي أصبحت عليها؛ كانت تشعر بالحرج عندما كانت تفيق لتجد نفسها محمولة بين يدي الغرباء الذين كانوا يذهبون بها إلى المستشفى ولكن الآن الأمر مختلف فهي مجردة من ملابسها ولا يسترها سوى هذا القميص الخاص بغرفة العمليات؛ استباحوا جسدها كله؛ لقد نلت قسطا وفيرا من الذل المغلف بالغلاف الطبي؛ تجربة مريرة أن تترك جسدك كمريض ذليل لا حول لك ولا قوة أمام المشارط والأدوات الطبية؛ جانب مظلم اريد ان اتنساه لاستعيد عافيتي

مازال هناك أمر عالق؛ قالت لوالدتها؛ امسح لي الدموع التي على خدي فلا استطيع ان ارفع يدي لامسحها

خرجت والدتها لتهمس في أذن زوجها؛

شادن نفسيتها محطمة؛ تبكي باستمرار منذ أن استعادت وعيها وانتبهت لما هي عليه من ضعف ووهن واستلام؛

قال والدها:

- كل شئ سيمر وستعود إلى سابق عهدها؛ اخبريها أن الحالة النفسية الهادئة هي جزء من العلاج؛ يجب أن تظل مقتنعة انها ستنجو حتى يحدث ما تقتنع به

اتصل على بكريم وسأله بلهفة؛ كيف خرجت؟

لحظة صمت طويلة دارت بينهما على الهاتف؛ نبرة الصوت تظهر ما تخفيه قلوبنا

رد كريم؛ ولماذا لا اخرج؛ لم أفعل شئ

قال علي؛ معك حق؛ انت لم تفعل شئ؛ حمدلله على سلامتك يا صديقي

وضع كريم الهاتف؛ وظل واقفا في البلكونة ويضع كوب القهوة على حافة البلكونة؛ ظل يشرب قهوته ببطء وينظر على الناس عندما لاحظ وجود شخص يراقبه؛ تعامل مع الموقف كأنه لم يرى احد؛ وظل يشرب قهوته بهدوء

رن الهاتف الخاص بشادن؛ ردت والدتها كانت أحد جارتهم قالت لها؛ أين أنتم؟ الشقة تعرضت السطو؛ قام أحدهم بكسر باب شقتكم والشرطة هنا؛ أسرع والد شادن إلى الشقة؛ بينما ظلت والدتها معها؛ اتصل الضابط وقال؛ والدها رحل مسرعا ووالدتها فقط هي التي معها

قال له الضابط؛ أشعر بشئ غريب؛ انتبه عليها

قال الضابط السري؛ والدتها متوترة؛ واضح ان هناك مشكلة كبيرة ولكن لا تقلق فأنا لن أغفل عنها

ذهب الضابط الذي كان يراقب الاتصالات لمقابلة وزير الداخلية بشكل عاجل؛ وقال له:

قام الضابط المحقق بإطلاق سراح مجموعة مسرح السلام ولكنهم القاهم في منطقة صحراوية وبدون اتصالات وكانت هواتفهم معطلة؛ وعلى ما وصلنا من تقارير فإن أحدهم كان معه باور بنك مخبأ في حقيبة ولولا ذلك لما عثرنا عليهم؛ وتم نقل الفتاة المريضة إلى المستشفى وذهبوا جميعهم معها وبعد خروج زيزي بصحبة والدها انفجرت بهم السيارة

هز وزير الداخلية راسه وقال:

- وصلني الخبر؛ وبسبب ذلك الحادث توقفت الأعمال الإنشائية التي كان مكلف بها هو وشركته الهندسية وتراجع أسهم شركات الجيش والقوات المسلحة فور وصول الخبر إلى الصحافة

قال الضابط:

- المحقق يحقق انتقامه الشخصي؛ شعر بصدمة عندما علم انهم نجوا من المكان السحيق الذي ألقاهم فيه فقرر أن يقتلهم بشكل متعمد وفج ويسانده في ذلك مجموعة من الضباط وتحول الأمر إلى شغل عصابات

قال وزير الداخلية:

- أعلم كل ذلك؛ واستعد الآن لوضع حركة انتقالات وتعيينات جديدة داخل المنظومة الأمنية ولكن حتى يحدث ذلك يجب أن تتولى حماية باقي المجموعة قبل أن يقوم بتصفيتهم؛ لسنا في موقف ضعيف ولكن حرصا على حياة باقي المجموعة ودون أن يلاحظ هو ومجموعته اننا منتبهين له وحتى لا يتسرب خبر للصحافة بأن المنظومة الأمنية تقاتل بعضها البعض وتحولوا إلى مجموعة عصابات تنفذ تصفيات دون محاكمة أو دليل إدانة أو حكم صادر بأي عقوبة

انتهى اللقاء على ذلك وخرج الضابط من مكتب وزير الداخلية بعد أن قال له وزير الداخلية؛

نحن رجال شرفاء؛ وليس معنى وجود مجموعة فاسدة اننا جميعنا مثلهم؛ ولكن الأهم من كل ذلك هو الكتمان حتى لا يصل الخبر إلى الصحافة.

مر اسبوع كامل وكلما استفاقت جينا يقوموا باعطائها مادة مخدرة. تجعلها تغيب عن الوعي.

كانت والدتها متوترة لأن جسدها لا يستقبل اي أغذية حقيقية.

تم نقلها إلى المصحة. بعد أن قام الضابط السري بترتيب الأمر بشكل جيد.

وضعها الطبيب تحت الملاحظة الدقيقة بعد أن استمع لما مرت به. منذ أن حصلت على الثانوية العامة وحتى هذه اللحظة.

قرر الطبيب أن يمنع عنها المخدر لتستفيق.. ليرى كيف سيكون رد فعلها.

بعد أن استفاقت نظرت حولها.. وجدت نفسها في غرفة مغلقة نصفها الأعلى من الزجاج وجدرانها بيضاء.. أخرجت يديها من الرباط الذي كان حولها ثم فكت وثاق قدميها. ثم وضعت قدميها على الأرض. وسارت بضعة خطوات وتوجهت إلى النافذة نظرت من خلفها .. وجدت ممر طويل وممرضة تمر من أمامها.. فعلمت انها في مستشفى. نزلت يديها من على الزجاج وعادت تتمدد على السرير. ثم لمحت كمنجة موضوعة على جدار الغرفة فقامت.. وتوجهت إليها ولمستها بيديها. إنها سليمة. لم تنكسر. إنها شبيهة بالتي كانت معي.

حملتها على ذراعها فشعرت بوجع فقامت بانزالها وخلعت الكامة التي كانت في يدها. ثم حملت الكمان على ذراعها مرة أخرى

واغمضت عينيها ووضعت نفسها على وضع الاستعداد وبدأت تعزف لساعات.. لم تشعر بأي شئ سوى بنغمات الموسيقى التي تنساب إلى روحها وتحتضنها وتلقيها في منطقة الأمان.

قال الطبيب الذي كان يراقبها عبر الكاميرا من جهاز اللابتوب؛:

لقد هدأت.. استقرت روحها الغاضبة المعذبة. لقد تخطت مرحلة الموت. لكن يجب أن لا نختصر الفترة في ذلك. يجب أن تستمر هذه المرحلة بثبات حتى تستعيد كامل روحها فليس معنى ذلك أن نتجاوز كل ما مر. ربما تصرف واحد غبي يعرضها لانتكاسة.

شعرت شادن برغبة في الذهاب إلى الحمام.. لم تجد أحد يساعدها. أين امي واين ابي.. أين الجميع؟

قامت مستندة إلى الحائط. خطت خطوات حذرة وخائفة.. لقد مللت من الاستلقاء كل تلك المدة. تأملت.. يبدو أن الوقوف أكثر إيلاما.. ليكن.. يجب أن اختبر نفسي.

فتحت الباب بهدوء وقبل أن تخرج سمعت صوت يقول:

انها وحدها وهذه فرصتنا التي لن تتكرر.. بطرف عينها نظرت بموارية الباب.. وجدته شخص لا تعرفه. لكنها هدفه. أغلقت الباب وبحثت عن مكان تختبئ فيه.. وجدت ستارة بيضاء وقفت خلفها بحيث انه اذا دخل ولم يجدها في الفراش سيذهب ليبحث عنها في الحمام كامر بديهي.. فتنتهز الفرصة. وتخرج هاربة منه.

دخل الرجل وكان يرتدي زي طبي. فوضعت يدها على فمها واغمضت عينها بقوة وقرأت الفاتحة ثم انتظرت حتي تصرف كما توقعت وتوجه إلى الحمام فرفعت الستارة بحذر وخرجت مسرعة وهي لا تتحمل الوجع الذي ينهشها. خرجت حافية وظلت تمشي بسرعة وهي مذعورة حتى وجدت كريم قادم في آخر الرواق فالقت بنفسها في حضنه ومسكته من قميصه بشدة وقالت وهي ترتجف: هناك شخص. هناك شخص وتشير بيديها إلى الغرفة وهي تتشنج ولا تستطيع الحديث. هناك.

مسكها كريم بكل قوته وسندها وهو يقول:اهدئي.. انا هنا معك. اعتذر على التأخير. والدتك اتصلت بي لكي اكون هنا معك حتى تعود هي ووالدك. وأخذت وقت حتى استطعت الإفلات من الشخص المتخلف الذي يراقبني.

أخذها إلى أقرب كرسي متحرك واجلسها عليه وجرها إلى الطابق السفلي وجلس بجانبها على مقربة من نافذة مفتوحة وقال: استنشقي بعض الهواء.. هل هدأت الآن؟

هزت رأسها وقالت:لا تتركوني وحدي.

قال كريم:اخبريني الآن من هذا الشخص الذي كنت تتحدثين عنه؟

قالت شادن:انه غريب. لا أعرفه.. فقط سمعته يتحدث عبر الهاتف.. ثم تذكرت عندما سمعت بيتر هو الآخر وهو يتحدث عبر الهاتف.. قالت في سرها: تبا لتلك اللحظات التي تبدلنا من حال إلى حال في غمضة عين. تبا لتلك اللحظات القاتلة التي تحولنا من ملائكة إلى شياطين أو العكس دون

أن يشعر بنا احد. تبا لتلك اللحظات المظلمة التي تقلب حياتنا وتجعلها عاجزة على العودة إلى ماكانت عليه.

قال كريم: شادن. انا اسمعك. ماذا فعل ذلك الرجل؟

قالت شادن:

- أين زيزي؟ واين جينا؟ واين ذهب ابي وامي؟ ماذا يحدث؟

لم يشأ كريم ان يخبرها بما حدث.. فاصطنع العديد من الكذبات. الكثيرة جدا.

شادن. هكذا جاء صوته. انه سيف.

قال كريم: بإمكاني أن اترككم وحدكم إذا رغبت في ذلك.

- ثم قام ووقف بعيدا ولكن على مستوى رؤيتهم بشكل واضح.

جلس سيف بجانبها وقال لها:حبيبتي. كيف حالك.. لقد صدمت عندما علمت.. لماذا لم تخبريني؟ لماذا تحملت سخافاتي. دون أن تردعيني؟ كيف ساسامح نفسي؟ الدموع تملأ عينه هو يقول:

ماذا يحدث لنا؟ لماذا يحدث لنا كل هذا؟ أعدك اني لن اتركك ابدا يا حبيبتي.

أشارت بكف يدها:كفى.. كفى.. لقد تركت بداخلي خراب لن يستطيع أن بعمره احد.. كفى.. اطمئن.. كريم مجرد زميل.. لقد نجحت في تخريب روحي بشكل رائع.. ومهما كان حولي من البشر لن يستطيع أحد إعمار روحي التي خربتها وعاش فيها الظلام الأبدي. انا اعلم نفسي جيدا فأنا لست محظوظة حتى أعثر على من يبذل مجهود لكي يعيدني كما كنت. فالقدر يظهر ملامحه بعد التاسعة عشر من العمر.

كان كريم ينظر لهما بين الحين والآخر. ثم لاحظ أن شادن حافية.. فصعد إلى غرفتها لكي يحضر لها الشبشب.

نزل إليها في الطابق السفلي وفي يده الشبشب. مر سيف من أمامه فقال كريم: تجلس حافية. فاحضرت لها ال.

ظل سيف محدقا به ونظرته تقول:إلى أي مدى وصلت علاقتكم

تعامل معه كريم بلا مبالاه وذهب إلى شادن.. كانت شادن تراقب سيف وهو يبتعد وتقول لنفسها: عن أي شئ جاء يتحدث.. فمنذ دقائق كنت أقرأ الفاتحة على روحي.. عذرا يا سيف. انت ليس لديك أي علم بما أمر به. فلتذهب إلى الجحيم.

المعزوفة الأخيرة

في كثير من الأحيان يكون علاجنا هو الابتعاد عن الجميع. ان تدير ظهرك لكل شئ كان أساسي في حياتك يعتبر ثورة داخلية على نفسك التي تعودت على نظام معين وأشخاص معينة وحياة معينة. ان تلغي فكرة الاعتماد على احد. أن ترفض ترديد كلمة لا أستطيع العيش بدونهم. ان تدخل في أعماق روحك لتعرف كيف وصلت إلى قمة هذا الوجع. ان تبحث عن ضمادات لجروحك العميقة الغائرة التي تنزف بقوة. أن تعرف أن حياتك التي اخترتها بنظامك الثابت واشخاصك الثابتين وحياتك الثابتة هم سبب كل أوجاعك.. ان ترفع شعار لن استمر في هذا. حينها ستعثر على علاجك.

ذهب كريم إلى المعهد لكي يسحب أوراقه. كان بصحبة مجموعة من اصدقائه.. كانوا يبحثون عن طريقة لعمل فرقة مسرحية تجوب المحافظات ببعض العروض المسرحية وتصويرها فيديو ووضعها على اليوتيوب والفيسبوك.

كريم. كريم. انتظر. ألا تسمعني.

وقف كريم. كان على يجري ليلحقه وقال له:

لا أصدق انك لم تسمعني. ماذا تفعل هنا في المعهد؟

قال كريم:اسحب أوراقي. وانت. ماذا تفعل؟

قال علي:

اسحب أوراقي انا ايضا.. كيف حالك؟

قال كريم :بخير.

قال علي: سمعت انك ستقوم بعمل فرقة تجوب المحافظات هل هذا صحيح؟

قال كريم: نعم صحيح.

قال علي: اريد ان انضم لكم.

قال كريم: العدد مكتمل. جئت متآخر.

قال علي: معقول؟ ليس لي مكان معكم؟ كيف هذا؟ كنا معا على الدوام.. ما الذي حدث؟

قال كريم:لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤوكم. سلام يا صديقي

خرجت شادن من المستشفى وعادت إلى المنزل على أن تأخذ بعض جرعات الكيماوي بعد شهرين من الجراحة. ارتفعت معنوياتها كثيرا عندما نامت في فراشها مرة أخرى.. ضمت لعبتها إلى حضنها واغمضت عيونها وقالت لوالدتها:لقد عدت يا أمي. بعد غياب إلى فراشي. لقد رتبته جيدا قبل أن أغادر وأذهب إلى العرض المسرحي. يااااه. لقد مررت بالكثير والكثير.

فتحت عيونها فجأة وقالت: أنا لم اشكر زميلاتي على وقوفهم معي أثناء مرضى. أين هاتفي؟

قالت لها والدتها:نامي الآن وارتاحي وغدا. تتحدثين معهم كما تشائين.

قالت شادن: اريد ان اطمئن عليهم فأنا لم أرى احد منهم بعد العملية. أشعر ببعض القلق.

وضعت والدتها الهاتف في الدرج وقالت: الوقت تآخر. نتحدث في ذلك غدا.

اعتدلت شادن في فراشها وقالت: هل حدث مكروه لأحدهم؟ امي تحدثي من فضلك.. عدم رؤيتهم لي بعد الجراحة جعل الشك يتسرب لي بأنهم تعرضوا لمكروه.

بعد إلحاح اخبرتها والدتها بما حدث. تذكرت كلمة قالها سيف لها في المستشفى عندما قال :لا أعلم لماذا يحدث لنا كل هذا. كان يقصد زيزي. ويقصدني.. ويقصد جينا.

قالت لوالدتها: حسنا. يجب أن أرى جينا.

قالت لها والدتها:غير مسموح لاحد بأن يتحدث معها أو يقابلها.. حتى والدتها لم تستطع فعل ذلك.

قالت شادن: ولكني أعلم أن ما سأخبرها به سيفرق معها كثيرا. أنا في حاجة ماسة لأخبرها بأمر هام جدا.

قالت والدتها: ما السر الذي بينكم؟

قالت شادن: من فضلك يا أمي يجب أن آراها. يجب أن تسمعني.. ارجوكي يا أمي اتصلي بوالدتها واخبريها اني اريد رؤيتها لأمر هام ولا أستطيع أن أفصح لأحد عنه.

سافر والد جينا إلى الخارج ولم يخبر احد بذلك.

كانت والدة جينا تتابعها من خلال شاشة اللاب توب مع الطبيب ولكنها ملت من ذلك وقررت أن تخوض معركة مع الطبيب لتقنعه بأنها يجب أن تتحدث مع ابنتها.

قال الطبيب:

صدقيني. هذا أفضل لها. ليست في حاجة إلى الكلام بكل عباراته وصيغه والفاظه.. ليست في حاجة الا الي ما يجعلها تشعر أنها أفضل من الداخل دون كلام والموسيقى توفر لها ذلك. ماذا ستقولين لها؟ كل شئ سيكون على ما يرام. لن تمري بمشاكل مرة أخرى في حياتك؟ الحياة ستكون أفضل وايامك الجميلة لم تأتي بعد؟ السعادة تنتظرك؟ ستبنين احلام جديدة فلا داعي أن تنظري خلفك؟ هل هذا ما ستقولينه لها؟ اسمحي لي يا سيدتي الفاضلة هي ليست في حاجة لكل ذلك.. لأنه كذب. نحن كبشر عندما نمر بمواقف مؤلمة في حياتنا نتخطاها.. نعم نتخطاها ولكن كل موقف يذهب ويأخذ قطعة من أرواحنا معه. فهو زائر جشع لن يذهب هكذا.وعندما سمعت بما حدث لها منك ومن ردود أفعالها تأكدت ان الكلام لن يجدي معها. خاصة أنها حتى الآن لم تصدر رد الفعل المنتظر لكي افهم منه انها تحتاج للتحدث مع احد.

رن هاتف والدة جينا وكانت شادن هي المتحدثة حاولت أن تقنعها أن لديها أمر هام يجب أن تطلع جينا عليه ولكن ذهبت كل محاولاتها هباء.

ظلت والدة جينا تقول لشادن:

غيرك اشطر. فأنا والدتها وحتى الآن لم يسمح لي الطبيب بالتحدث معها

أراد الطبيب أن يستفهم منها فقالت له والدة جينا أن صديقتها مصممة على لقائها وتقول إن لديها أمر هام يجب أن تطلعها عليه.

قال الطبيب :اعطيني إياها.

وضع الطبيب السماعة علي أذنه وقال لها:

أعلم أنك صديقتها وقلقة عليها ولكن هي الآن في فترة علاج والعزلة جزء من العلاج.

قاطعته شادن:

- حياتها في خطر. يجب أن أخبرها شئ هام. من فضلك لا تخبر والدتها.

أدار راسه ليخفي القلق الذي ملأ ملامحه عن عيون والدتها التي كانت واقفة ثم قال:

- هل بإمكانك أن توضحي لي الأمر أكثر؟

قالت شادن:

- بإمكاني مقابلتك فالهاتف غير آمن.

قال الطبيب :لهذا الحد؟ إذن ساسجل رقمك وساحدثك فور تحسنها.

اعطي الهاتف لوالدة جينا بعد أن أخذ رقم شادن ثم قال لوالدتها:

- صديقتها لحوحة جدا. كان يجب طمانتها بوعد حتى تسكت.

قالت والدة جينا:

- نعم. افهم. فشادن هذه مرت معها بتجربة قاسية. كانت مسجونة معها وهي الآن تتعالج من السرطان. لقد خرجت لتوها من المستشفي.

قال الطبيب:

- افهم ذلك.. إذن..نعود إلى موضوعنا. لقد شاهدت ابنتك واطمئننت عليها.. بإمكانك الانصراف. فوجودك لن يحدث أي فارق.

بعد أن انصرفت والدة جينا.. اتصل الطبيب بشادن. التي شرحت له كل ما تعرفه منذ أن التقت بجينا. قال لها الطبيب:

ماذا لديك غير ذلك لتخبريها به؟

قالت شادن:

- لديها روح متالمة مثلي. أنا أعلم كيف يتسرب الألم بداخل النفس ويخرب الروح. أنا أعلم كيف تمر حياتك بنفق مظلم وتفشل في الخروج منه.. أنا أعلم كيف تكون الحياة صعبة. وكيف تكون مجبر على أن تتعايش مع هذه الصعوبة.

قال الطبيب:

- سامنحك فرصة لكن دون مقابلة جينا. سنكتفي فقط بأن أسمح لها بأن تسمع صوتك من خلال ميكروفون بداخل غرفتها. سأجعلك تتحدثين دون أن تراك. وأنا سأتابع رد فعلها. لكن يجب أن تختاري الفاظك بعناية؛ فالكلمة بإمكانها أن تدمر وبامكانها أن تبني.

قالت شادن بحماسة شديدة:

- انا أوافق على ذلك.. متى سنبدأ؟

قال الطبيب:

- سأمنحك يوم تجهزين ما ستقولينه

قالت شادن : لا أعلم كيف أشكرك.

أغلقت الهاتف. فكرت في كتابة ما ستقوله.. اهم شئ هو الصدق. كلما كنت صادقة جعلتها تشعر بالراحة أكثر.

علم الضابط انها ستتوجه إلى المستشفى التي بها جينا. وجدها فرصة جيدة ليتخلص من عصفوران بحجر واحد.

علم الضابط الأخر بما حدث. فقرر أن يرسل تعزيزات أمنية متخفية لحماية شادن وتأمين المستشفى التي بها جينا

قالت شادن وهي تفكر فيما ستقوله.. لن أرتب شئ. سأترك كل شئ في لحظته. ومزقت الورقة التي كتبت بها بعض الجمل وألقتها بسلة المهملات.

ذهبت شادن إلى المصحة النفسية التي بها جينا. استقبلها الطبيب واخذها إلى مكتبه.. جعلها ترى جينا بالكاميرا من اللاب توب ثم قال لها:

لماذا انت مصممة على مقابلتها؟

قالت شادن: ربما إذا استمريت في متابعتنا بالكاميرا وأنت جالس هنا ستعلم؛ لن أكثر عليها

قال الطبيب: حسنا.. ساجعلك تقابلينها مباشرة؛ تفضلي

قالت شادن: أشكرك

أخذها الطبيب وتوجها إلى غرفة جينا.

دخلت شادن عليها.. شعرت أن الدماء هربت منها.. قالت بصوت خافت : أردت أن اطمئن عليكي.. هل بإمكانك سماعي لدقائق معدودة فقط؟

كانت جينا تقف وراء النافذة. فنظرت بدهشة زائدة إلى شادن. ثم حطت نظرها أسفل النافذة. ثم نظرت مرة أخرى إلى شادن وقالت : لقد أتوا خلفك. سيقتلوننا..

ذهب الطبيب ليتابع الحوار من مكتبه عندما اتصل به أحد أفراد الأمن وقال: أغلق الكاميرات فوراً.. لدينا هجوم مسلح.. أغلق الأبواب على المرضى.. واكسر الكاميرات حتى لا يتبعوها.

أغلق الطبيب اللابتوب وذهب إلى وحدة التحكم الآلي واعطاهم أمر بتعطيل كل الكاميرات وتشغيل جهاز الإنذار وغلق جميع غرف المرضى بإحكام

قالت جينا: تعلمين. لقد سئمت من تخطيط جميع من حولي لأشياء تخصني. اذهبي من هنا. لست بحاجة لأحد. لماذا تهتمون بي بهذا الشكل الفج الذي

يقلق راحتي.. لم تفكري ولو للحظة أن شئ كهذا ممكن أن يحدث. مازال أمامك الكثير حتى تتعلمين كيف تضعين قدمك في المنطقة الصحيحة.

قالت شادن: كان لدي الكثير لاقوله. وقويت نفسي.. ولملمت جراحي لكي أقوى على مواجهتك.. لقد جئت لاعتذر عن مشاعر سلبية شعرت بها تجاهك.. هل قابلت أحد ما من قبل قام بالاعتذار عن مجرد شعور سلبى؟

قالت جينا: لا أبالي.. اجتهدي لكي تحافظي على حياتك إذا كانت تعني لك شئ.

قالت شادن: ساوفر طاقتي للخروج.

قالت جينا: جيد.. أشعر الآن أن إحساس الذنب قد اختفى. وتولد بدلاً منه شعور بالاعتداد بالنفس تلاه بعض من الندم الخفي داخل نفسك على مجيئك إلى هنا وهذا بدوره سيجعلك تشعرين بالرضا وبنجاح مهمتك في القضاء على كل مشاعرك السلبية. وأنا بدوري قد قمت بمساعدتك من خلال مقابلتك ببرود متعمد.. بإمكانك الآن الخروج والعودة لاستكمال حياتك بعد أن تكوني تخلصت من جميع خطاياك

قالت شادن: إذا فتحت هذا الباب.. لا أعلم ما الذي سآراه.. ولا أعلم ما يحدث بالخارج. لكنك كنت قاسية لأبعد الحدود. وأنا لن ألومك.. فأنا أخطأت كثيراً بحقك منذ البداية. ولكن ليس الأمر كما تظنين مجرد خطيئة أقوم بمحوها.. الأمر به بعض الالتباس.. لقد جئت لاحذرك من أنهم سيقتلوننا جميعا. شعرت بالاهتمام والخوف عليك. وأعتذر فلن أقوم بازعاجك مرة أخرى.

قالت جينا: لقد رحلوا. هل لديك الشجاعة لفتح الباب؟

في اليوم التالي. انتشر خبر بالصحف وعلى نطاق واسع عن مجزرة وقعت بأحد المصحات النفسية وقتل فيها خمسة عشر طبيباً وعمال صيانة والمسئول عنها هو أحد النزلاء المختلين عقلياً.

قال الضابط: اعتقد ان ذلك مناسب. بالأمس نجح الطبيب في غلق البوابات الحديدية لحماية مرضاه. واليوم سأذهب بصفتي محقق في المجزرة وستفتح أمامي كل البوابات المغلقة.

يُتبع

إلى اللقاء في الجزء الثاني